صوت الصعاليك
مجلة عراقية إغبارية إلكترونية
Alsaalek Journal
ثقافية سياسية فكرية

على حافة الرصيف

ليس من الصعب أن يفهم المرء أسباب القلق الذي يتسع في الشارع العراقي، فالمشكلة لا تكمن في أزمة واحدة يمكن للحكومة أن تعالجها بقرار أو تخصيص مالي، وإنما في تراكم أزمات أصبحت تمس تفاصيل الحياة اليومية للمواطن، من الكهرباء والماء إلى البطالة والخدمات، ومن الفساد إلى الأمن والسلاح، فيما يعيش العراق في الوقت نفسه وسط منطقة تعصف بها تحولات سياسية وعسكرية واقتصادية عميقة.

ولهذا فإن الحديث عن حكومة علي الزيدي لا يمكن أن ينفصل عن سؤال أكبر من تقييم برنامج حكومي أو قياس نجاح وزير هنا أو مسؤول هناك. السؤال يتعلق بعلاقة الدولة بالمواطن، وبقدرة الحكومة على إقناع العراقي بأن ما تقوله عن الإصلاح يمكن أن يتحول إلى واقع يراه ويلمس نتائجه في حياته.

وهنا تكمن الصعوبة الحقيقية.
فالعراقي الذي يستمع إلى حديث الحكومة عن محاربة الفساد وحصر السلاح وبناء الدولة، ثم يعود إلى بيته ليواجه انقطاع الكهرباء أو أزمة الماء أو غياب فرصة العمل، لن يستطيع أن يفصل بين هذه الملفات كما تفعل البيانات الرسمية. بالنسبة إليه، الدولة منظومة واحدة، ونجاحها أو فشلها يقاس بما توفره له من أمن وكرامة وخدمات وفرصة للمستقبل.

ومن هذه الزاوية تحديداً، يصبح تراكم الأزمات أكثر خطورة من كل أزمة منفردة. فالكهرباء، على سبيل المثال، لم تعد مشكلة خدمية عابرة. لقد تحولت على مدى سنوات إلى رمز لقدرة الدولة على إدارة مواردها. والعراقي يعرف أن بلاده ليست فقيرة بالمعنى الذي يمكن أن يبرر استمرار هذه الأزمة؛ فالعراق بلد نفطي يمتلك موارد هائلة، ومع ذلك لم يتمكن حتى الآن من بناء منظومة كهربائية مستقرة تضع حداً لمعاناة المواطنين.

وهنا لا يعود السؤال: لماذا انقطعت الكهرباء اليوم؟ بل يصبح السؤال :**كيف يمكن لبلد بهذه الموارد أن يعجز عن حل مشكلة عمرها سنوات؟** وهو سؤال يقود، بصورة طبيعية، إلى سؤال آخر عن الإدارة والفساد وسوء التخطيط والهدر في المال العام. وهكذا تتصل الكهرباء بالفساد، ويتصل الفساد بثقة المواطن، وتتصل الثقة بقدرة الدولة على تنفيذ ما تعِد به.

والأمر نفسه ينطبق على المياه، وإن كان ملفها أكثر خطورة على المدى البعيد. فالعراق لم يعد يواجه مجرد نقص موسمي في المياه، وإنما أزمة تتداخل فيها التغيرات المناخية وتراجع الموارد المائية وسوء الإدارة وطرق الري القديمة والتلوث والتطورات المتعلقة بالأنهار العابرة للحدود.

وهنا أيضا يجد المواطن نفسه أمام مفارقة مؤلمة: بلد نشأ تاريخيا بين دجلة والفرات، وتقوم ذاكرته الحضارية على الماء، يواجه اليوم مدنا وأريافا تعاني شحّه، وفلاحين يخشون على أراضيهم، ومناطق جنوبية تدفع بصورة خاصة ثمن تراجع الموارد.

لذلك فإن قضية المياه ينبغي ألا تبقى ملفاً فنيا في وزارة أو موضوعا تفاوضيا مع دول الجوار فحسب. إنها قضية تتعلق بالأمن الوطني ومستقبل المجتمع نفسه.

لكن أخطر ما في الأزمات العراقية ربما لا يظهر في فاتورة الكهرباء أو كمية المياه، وإنما في **الشباب الذين لا يجدون مكانا واضحا لهم في اقتصاد بلادهم.**

فالعراق مجتمع شاب، وهذه ميزة يمكن أن تكون أعظم مصادر قوته، لكنها يمكن أن تتحول إلى مشكلة اجتماعية وسياسية إذا لم يجد الشباب التعليم المناسب والعمل والإنتاج والمشاركة في بناء المستقبل. وعندما يحصل الشاب على شهادة ثم يكتشف أن الطريق إلى الوظيفة يمر أحيانا عبر الواسطة أو الانتماء السياسي، فإن المشكلة لا تعود بطالة بالمعنى الاقتصادي فقط، وإنما تتحول إلى شعور بالإقصاء وفقدان العدالة.

ومن هنا نفهم لماذا لا يمكن معالجة البطالة بمجرد إضافة آلاف الوظائف الحكومية. وهذا يعيدنا مرة أخرى إلى السؤال نفسه :**أي دولة يريد العراق أن يبني؟**

المحرر

Alsaalek Journal

"مجلة صوت الصعاليك"
سياسية ثقافية فكرية
غير ملزمة بنشر كل ما يردها

المقالات المنشورة تُعبر عن رأي كُتابها
والتحرير غير مسؤولة عن محتواها

2021 جميع الحقوق محفوظة
مجلة صوت الصعاليك

saaleq21@gmail.com
info@alsaalek.de

ساهم معنا في نشر الحقيقة

صوت الصعاليك

SAJ.Sawt Alsaalek Journal
www.alsaalek.de

متابعات

"التكنولوجيا بوصفها طوق نجاة"
تفكيك الأزمة الأخلاقية واستشراف الحلول في العراق

عادل شريف الحسيني

لا يمكن للمراقب المنصف لواقع المجتمع العراقي اليوم، لاسيما خلال السنوات الأخيرة، إلا أن يضع يده على جرح غائر نخر جسد الدولة والمجتمع معاً .

إن الأزمة في العراق لم تعد تقتصر على جنبات السياسة والاقتصاد فحسب، بل تمتد لتضرب عميقاً في الجذور الاجتماعية والأخلاقية، لتفرز مظاهر سلوكية معقدة أصبحت تُهدد الهوية الوطنية ومستقبل الأجيال.

جذر الأزمة: متلازمة "تراجع المعرفة وتفشي الأنانية"

من خلال معايشتي وتجربتي الشخصية في العراق على مدار السنوات الثلاث الماضية، يمكنني تلخيص معضلة المجتمع الحالي في ظاهرة متلازمة؛

"تغلغل الأنانية والمصلحة الضيقة". وتخضع هذه الظاهرة لعلاقة طردية وعكسية واضحة؛ فكلما تراجع العلم وقلّ منسوب الذكاء المعرفي والوعي لدى الأفراد، تضخمت الأنانيات لديهم. وللأسف، فإن الظروف السياسية والاقتصادية الطاحنة التي مر بها العراق دفعت بالأجيال الحالية داخل البلاد نحو مستويات أقل معرفة وتعلماً مقارنة بالأجيال السابقة .

هذا الفراغ المعرفي حوّل السلوك الجمعي نحو الانتهازية المفرطة، ليفقد المجتمع تدريجياً مبدأ "المنافسة الشريفة". وبدلاً من التسابق القائم على الكفاءة والجهد، بات المشهد السائد محكوما بالطعن في الظهر، التآمر، تشويه السمعة، والتسقيط الشخصي للمنافسين.

مؤسسات منخورة وغياب المصلحين وان الأخطر في المشهد العراقي الحالي ليس وجود الفساد بحد ذاته، بل تحوله إلى "ثقافة سائدة" ومقبولة اجتماعياً .

وما يبعث على الأسى هو غياب الدور التقويمي للجهات المرجعية والمجتمعية التي كان يُفترض بها كبح هذا التدهور. فلم يقف رجال الدين، شيوخ العشائر، أو النخب المهنية موقف المصحح والمحاسب، بل وجد بعضهم المبررات والغطاء لهذه الممارسات الخاطئة.

ونتيجة لذلك، لم يتبقَ في العراق كيان أو قطاع إلا ونخرته آفة الفساد المالي والإداري والاجتماعي .

لقد اتسعت دائرة الفساد في المجتمع وفي العديد من المجالات او القطاعات: الطبيب في عيادته، والمحامي في مهمته، والمعلم والأستاذ الجامعي في صرحه العلمي، وشيخ العشيرة ورجل الدين في مكانتهما الرمزية، وصولاً إلى الموظف الكبير والصغير، والضابط والجندي والشرطي .

معظم المجتمع بات يمارس الفساد بطريقته الخاصة، مدفوعاً بالطمع، الأنانية، اللامبالاة، وضعف الشعور بالانتماء والمواطنة.

نافذة الأمل :

التكنولوجيا طوقا للنجاة رغم قتامة هذا التشخيص الذي يفرضه الواقع، إلا أن هناك بارقة أمل قوية تدعو للتفاؤل، تكمن في الطفرة العلمية والتكنولوجية الهائلة التي حدثت وتسارعت بعيداً عن الجغرافيا العراقية .

إن هذه الثورة الرقمية ليست مجرد أدوات ترفيهية، بل هي الحل الجذري والوحيد القادر على تفكيك بنية الفساد ومعالجة السلوكيات البشرية المنحرفة.

إن إدخال التكنولوجيا وأتمتة مؤسسات الدولة (التحول الرقمي) كفيل بإنقاذ المجتمع من آفاقه المظلمة عبر ثلاثة محاور رئيسية:

1.استئصال المحسوبية بالشفافية المطلقة :

عندما تتحول المعاملات والخدمات والوظائف إلى بيئات رقمية، ينتهي دور "الوسيط" و"الموظف المرتشي". التكنولوجيا لا تحابي أحداً ولا تتقاضى رشوة، مما يغلق منافذ الابتزاز المالي والإداري.

2.إعادة الاعتبار للكفاءة والمنافسة الشريفة :

تفرض الأنظمة الرقمية معايير صارمة وخوارزميات عادلة لتقييم الأفراد، وبذلك يضطر الفرد للعودة إلى مربع العلم والتطوير الذاتي للنجاح، بدلاً من أساليب التسقيط والتآمر.

3.الارتقاء بالوعي الفردي :

إن ربط المجتمع بعالم المعرفة والذكاء الاصطناعي يوسع المدارك، ويخرج الإنسان من تقوقعه الأناني الضيق إلى فضاء التفكير المنطقي والعالمي.

إن معالجة الأزمات الخدمية والاجتماعية المتجذرة في العراق تحتاج إلى أدوات حاسمة وحيادية، والتكنولوجيا اليوم هي الرهان الحقيقي والأكثر أماناً لإعادة بناء الإنسان والمؤسسات، وتحويل الطاقات الشابة نحو البناء والتعلم والمواطنة الحقة .

التكنولوجيا ليست فقط معلومات وادوات بل فلسفة عميقة لحل المشاكل وعلاجها وفي كل المجالات والجوانب الحياتية من توفير الخدمات وتقديمها إلى تحسين نوعية الحياة وتحقيق الرفاهية الى تحقيق العدل الاجتماعي والتقدم والازدهار وتحقيق التنمية المستدامة والشاملة.

مهم جدا الاشارة قبل الختام إلى ان التكنولوجيا أداة وليست إرادة، والتكنولوجيا وسيلة وليست سلطة ولذلك تبقى الحلول بيد الذي يتحكم بالقرار السياسي الوطني الذي يعيد للسياسة معناها الصحيح وهو ادارة ورعاية مصالح المجتمع والدولة وليست فقط ادارة الخلافات او فن الممكن كما يحلوا للبعض ان يسميها او جرت العادة في تعريف السياسة في بلداننا ومجتمعاتنا...

إدارة المجلة:

رئيس التحرير..... عصام الياسري — مدير التحرير..... د. سناء شامي
إدارة..... د. أشواق لطفي — تنسيق ..... ندا الخوام
رسوم..... الفنان منصور البكري — ويب..... فراس الزبيدي
تصميم: كامل عبدالله ... دان ميديا DAN media
تصدر مرتين بالشهر// في أول (1) ومنتصف (15) الشهر.. غير ملزمة بنشر كل ما يردها.

"صوت الصعاليك" عراقية مستقلة حرة...

انطلقت في 01 يناير 2021 من إيمان راسخ بأن الكلمة الحرة هي السلاح الأمضى في مواجهة الظلم والفساد.. وإن ـ على مهنة الصحافة ألا تنحاز إلا للحقيقة وحمل هموم الناس المهمشين، ومن لا صوت لهم .

منذ تأسيسها، حرصت على أن تكون منبرًا حقيقيًا يعكس صوت الشعب ويُعبّر عن همومه وتطلعاته.

«البعد المجتمعي» الاستشراف الحقوقي

إلى جانب أزمات الخدمات وانعدام الكهرباء والمياه، يعاني العراقيون من تراجع الحريات العامة. فالتظاهرات التي تشهدها البلاد في الآونة الأخيرة واجهت في أحيان كثيرة قمعا أمنيا وتهديدات من قوى مسلحة، كما حاولت بعض الأطراف تمرير قوانين تقيد حرية التعبير والإعلام. هذا التراجع في الحقوق الأساسية يُضعف فرص الإصلاح، إذ لا يمكن معالجة الفساد أو سوء الإدارة في غياب صحافة حرة ومجتمع مدني قوي.

في هذا السياق ينبغي القيام بإصلاح سياسي وهيكلي والاحتكام إلى الدستور:

ـ إنهاء نظام المحاصصة، وتعزيز استقلال القضاء، وحماية حق التظاهر والإعلام.

ـ إدارة رشيدة للموارد واستثمار الغاز المصاحب، وتنويع الاقتصاد بعيدا عن النفط.

ـ تبني سياسات زراعية حديثة لترشيد استهلاك المياه.

ـ تطوير شبكات الكهرباء، وتسريع مشاريع الطاقة المتجددة، والبنية التحتية المستدامة وإطلاق مشاريع استراتيجية لتحلية المياه في الجنوب.

ـ انفتاح دبلوماسي تفاوضي جاد مع دول المنبع لضمان حصص عادلة من المياه.

ـ تمكين المجتمع المدني وإشراك منظمات مستقلة في الرقابة على العقود العامة ومشاريع الخدمات.

خاتمة

الأزمات العراقية ليست مجرد إخفاقات فنية في إدارة المياه والكهرباء، بل هي نتيجة مباشرة لنظام سياسي مأزوم وهيمنة مصالح حزبية على حساب المصلحة الوطنية. فالإصلاح يتطلب إرادة سياسية شجاعة تترافق مع حماية الحريات العامة، لأن معالجة مشكلات الخدمات لا يمكن أن تنجح في ظل تغييب أصوات المواطنين ومؤسسات الرقابة. العراق أمام مفترق طرق: إما الاستمرار في دوامة الأزمات، أو الشروع في إصلاح شامل يعيد الثقة بين الدولة والمجتمع.

ان دور المواطن لا يتوقف عند التلقي السلبي لقرارات الدولة، بل يمتد إلى ممارسة الرقابة الشعبية والتظاهر السلمي، والمساءلة.

"مهنة تكرار الأزمات"
مقارنات مالية مع اقتصاديات النقد العراقي

عامر عبدالجبار اسماعيل

300مليار دينار التقديرات الاحصائية للمضبوطات المالية المباشرة بقضية فساد عدنان الجميلي وكيل وزارة النفط لغاية الآن (دون أحتساب اقيام السيارات والعقارات)، وفي حال إجراء مقارنة مالية مع اقتصاديات النقد العراقي الحالي يتبين لنا ان حجم الفساد لمسؤول واحد في الدولة العراقية وخلال أقل من خمس سنوات أهدر فرص اقتصادية عبر تجميد دوران النقد المحلي لـ (688) ألف مواطن عراقي، حيث تبلغ التقديرات لإصدار النقد العراقي (2) مليون و(180) ألف دينار عراقي للفرد الواحد المعيل لأسرة مكونة من (5) أفراد.

مع تطبيق اقتصاديات الفساد يرتفع تأثير ملف فساد واحد لمسؤول واحد من الآف المسؤولين في العراق الى أرقام مخيفة ومع أحتساب تكلفة الفرصة البديلة اقتصادياً يرتفع عدد المتضررين الى أكثر من مليون مواطن .

على الدولة العراقية بكافة مؤسساتها ووزاراتها ورئيس وزرائها الأستمرار بمكافحة الفساد بشكل مسرّع وبمنهجية أدق لمنع دوامة الفساد من ابتلاع الدولة بأكملها، أما مسألة مكافحة الفساد فهي بسيطة جدا تتلخص بمعادلة واحدة (معادلة ردع الفساد = حجم العقوبة × احتمال اكتشاف الفساد)،

بزيادة حجم العقوبات بالتوازي مع تطوير آليات اكتشاف الفساد سترتفع قدرة الدولة لردع الفساد.

نمط قيادة الدولة هو من يحدد النتائج بدقة بعيداً عن التغطية الاعلامية الشكلية والبيانات السياسية الخاوية.

#اقتصاديات_الفساد
#الفساد_في_العراق
#مكافحة_الفساد
#استرداد_الأموال
#المال_العام
#سرقة_القرن
#ديوان_الرقابة_المالية

ماذا بعد؟..

على جميع القوى والأحزاب السياسية، داخل السلطة وخارجها، التي تدعو إلى تحقيق العدالة المجتمعية وتغيير طبيعة نظام الحكم نحو دولة المواطنة، أن تمارس الضغط السياسي والجماهيري لتحقيق ما تطمح إليه. ذلك يتطلب الدفع باتجاه تحقيق أمرين مهمين:

- المطالبة بإجراء استفتاء شعبي يتعلق باصلاح أربعة أمور:
  - الدستور
  - قانون الأحزاب
  - قانون الانتخابات
  - المفوضية العليا للانتخابات
- من هنا يتوجب على أصحاب الفقه والرأي والفكر والإعلام والثقافة، السعي لتحقيق هذه الأهداف ومحاربة النفاق السياسي بكل الوسائل المتاحة لإنقاذ الشعب والوطن من الضياع وضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة!!

العراقُ أما يصنعُ موقعه في الخريطةِ الجديدة، أوْ يصنعُ الآخرونَ لهُ بالقوةِ موقعا لا يختارهُ!

لم يعد العراق يستطيع أن يتعامل مع ما يجري في الشرق الأوسط باعتباره أزمة أخرى من أزمات المنطقة، سرعان ما تنتهي ليعود كل شيء إلى ما كان عليه. ما يحدث اليوم يتجاوز الحرب الأميركية ـ الإيرانية وتداعياتها المباشرة؛ فثمة إعادة تشكيل لموازين القوى والتحالفات والأمن والاقتصاد، وثمة دول إقليمية بدأت تبحث عن مواقعها في النظام الجديد قبل أن تكتمل ملامحه.

وفي هذا المشهد المتحرك، يجد العراق نفسه أمام سؤال مصيري **:هل** يستطيع أن يصنع موقعه في الشرق الأوسط الجديد، أم سيظل يتلقى نتائج القرارات التي يصنعها الآخرون؟

الاتفاق الدفاعي الذي وقعته السعودية وتركيا وباكستان في مكة في السابع من أغسطس/آب الجاري يقدم واحدة من أبرز إشارات التحول. الاتفاق يقوم على مبدأ أن الاعتداء على دولة من الدول الثلاث يعد اعتداءً عليها جميعا، مع تطوير آليات للتنسيق السياسي والعسكري وإجراء تدريبات مشتركة والتعاون في الصناعات الدفاعية والتكنولوجيا. وقد أكدت الدول الثلاث أن الاتفاق دفاعي ولا يستهدف دولة بعينها، كما أنه لا يلغي التزاماتها وتحالفاتها القائمة.

لكن الأهمية السياسية للاتفاق تتجاوز نصوصه المباشرة. فهو يعكس اتجاهاً إقليميا نحو بناء قدر أكبر من الاعتماد على الذات في المجال الأمني، في وقت اهتزت فيه منظومة الأمن التقليدية في المنطقة بفعل الحرب والتوترات المتصاعدة. وهذا التحول يعني العراق قبل غيره، لأن العراق يقع في قلب الجغرافيا التي تتقاطع فيها المصالح السعودية والتركية والإيرانية والأميركية.

العراق بين المحاور

ليس من الواقعية السياسية أن يُطلب من العراق اختيار طرف ضد آخر. فإيران جار مباشر وشريك اقتصادي وسياسي مهم، وتركيا دولة حدودية ذات مصالح عميقة في التجارة والطاقة والمياه والأمن، والسعودية دولة عربية وخليجية ذات ثقل سياسي واقتصادي، بينما تظل الولايات المتحدة قوة دولية مؤثرة في المنطقة وفي العلاقات العراقية.

المشكلة إذن ليست في تعدد علاقات العراق، وإنما في كيفية إدارة هذه العلاقات. العراق بحاجة إلى سياسة خارجية لا تقوم على سؤال «مع من نحن؟»، وإنما على سؤال أكثر نضجا **:** ما الذي يخدم العراق؟

وهذا يتطلب الانتقال من سياسة رد الفعل إلى سياسة المبادرة. فالعراق لا ينبغي أن ينضم إلى محور ضد محور، ولا أن يتحول إلى ساحة لتصفية الحسابات الإقليمية، بل أن يعمل على بناء موقع مستقل يقوم على المصالح الوطنية. غير أن الاستقلال في السياسة الخارجية لا يمكن أن يتحقق من دون استقلال القرار الأمني. فقد أثبتت التطورات الأخيرة أن إعلان الحكومة رغبتها في إبعاد العراق عن الحرب لا يكفي وحده. الدولة التي لا تحتكر قرار السلاح والحرب والسلام لا تستطيع أن تضمن بصورة كاملة سياسة خارجية مستقلة.

ولهذا فإن حصر قرار الحرب والسلام بيد الدولة ليس شعارا داخليا، وإنما هو جزء من شروط بناء الدولة القادرة على حماية مصالحها وعلاقاتها الخارجية.

لكن، ماذا بعد الانسحاب الأميركي؟

تتجه الولايات المتحدة والعراق، وفق الترتيبات القائمة، إلى استكمال الانسحاب الأميركي من العراق بحلول 30 سبتمبر/أيلول المقبل، وهو تحول بالغ الأهمية بعد أكثر من عقدين على الغزو الأميركي للعراق. لكن القضية لا ينبغي أن تختزل في سؤال: هل خرج الأميركيون أم بقوا؟ السؤال الأهم هو: ما شكل العلاقة العراقية ـ الأميركية بعد انتهاء الوجود العسكري؟

العراق يحتاج إلى علاقة متوازنة مع واشنطن، سياسية واقتصادية وأمنية، من دون أن يكون تابعا لها أو ساحة لمواجهة مع خصومها. وفي الوقت نفسه يحتاج إلى بناء قدرة وطنية حقيقية تمنع استخدام أراضيه ضد أي دولة، وتمنع الآخرين من استخدام الأراضي العراقية لتصفية صراعاتهم.

فالفراغ الذي تتركه القوى الكبرى لا يبقى فارغا طويلا، وإذا لم تملأه الدولة بمؤسساتها وقوتها القانونية والسياسية، ستسعى قوى أخرى إلى ملئه.

من ناحية أخرى، فالحرب الأمريكية الإيرانية تكشف هشاشة الاقتصاد العراقي، وإذا كانت السياسة العراقية تواجه اختبارا صعبا، فإن الاقتصاد يواجه اختباراً أكثر قسوة. فالعراق من أكثر دول المنطقة تعرضا لتداعيات اضطراب مضيق هرمز، لأن النفط يمثل العمود الفقري للاقتصاد ولإيرادات الدولة. وقد أشار صندوق النقد الدولي إلى أن دولا مثل العراق والكويت وقطر من بين الاقتصادات الأكثر تعرضا للصدمة بسبب اضطراب إنتاج الطاقة ونقلها. كما خفض الصندوق توقعاته لنمو منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في عام 2026 إلى 0.7 في المئة نتيجة استمرار اضطرابات هرمز.

وهنا تظهر مفارقة خطيرة: ارتفاع أسعار النفط لا يعني بالضرورة أن العراق رابح من الحرب. فالدولة التي ترتفع لديها أسعار النفط لكنها تعجز عن تصدير كميات كافية منه، قد تخسر من حيث الإيرادات رغم ارتفاع سعر البرميل.

وقد كشفت الأزمة أن اعتماد العراق الكبير على طريق بحري يمر عبر هرمز يمثل نقطة ضعف استراتيجية. ولهذا فإن تنويع طرق تصدير النفط لم يعد مشروعا اقتصاديا مؤجلا، وإنما أصبح قضية تتصل مباشرة بالأمن الوطني.

لهذا لا ينبغي التعامل مع هذا الاتفاق باعتباره اتفاقا نفطيا مؤقتا. بل إنه فرصة لإعادة النظر في مفهوم أمن الطاقة العراقي.

ويبقى السؤال الحقيقي الأهم أمام العراق ليس: إلى أي محور ينتمي؟ **بل:** هل يستطيع أن يبني محور المصلحة الوطنية العراقية؟

جداريات من ذاك المكان

أضواء ..
" المأساة العراقيةِ دونَ حلولٍ جَدية "

«العمل الصحافي وأصول الإبداع الإعلامي تحت تأثير النسخ الألكتروني»

يعاني العراق من فجوة متنامية بين حقوق الملكية الفكرية التي تكفلها القوانين وبين قدرتها على الصمود أمام واقع رقمي سريع التحول، حيث بات نسخ المقالات والتحقيقات والصور والفيديوهات وإعادة نشرها دون إذن أو نسب المصدر ممارسة متكررة يشكو منها صحفيون ومثقفون ومؤسسات إعلامية.

ولم تعد المشكلة، وفق متابعين، مجرد خلاف مهني على نسب خبر أو صورة إلى صاحبها، بل تحولت إلى قضية تمس اقتصاد صناعة المحتوى وأخلاقيات الصحافة وحوافز الاستثمار في الإعلام الرقمي، في وقت تتقدم فيه أدوات النسخ والتوزيع الرقمي دون قدرة المؤسسات على التوثيق والملاحقة والإنفاذ.

وفي هذا السياق، يرى الباحث الإعلامي، حيدر شلال، أن المشكلة تجاوزت حدود الممارسة غير المهنية، قائلاً إن "النسخ واللصق لم يعد مجرد ممارسة غير مهنية، بل تحول إلى مشكلة تهدد جوهر العمل الصحفي"، موضحاً أن جهود الصحفيين "تُسرق من دون نسب أو قيمة مضافة، فيما يحصل الناسخ على الانتشار والتفاعل".

ويضيف شلال لوكالة شفق نيوز، أن الأخطر يتمثل في ضعف المساءلة المهنية والقانونية، الأمر الذي "يشجع على استمرار الظاهرة ويخلق منافسة غير عادلة بين من يستثمر في إنتاج المحتوى ومن يكتفي بالاستحواذ عليه"، داعياً إلى تفعيل الحماية القانونية وتعزيز الرقابة المهنية وترسيخ ثقافة احترام الملكية الفكرية والمصدر الصحفي.

«الدولة العراقية.. وخطر السلاح المنفلت الذي يهددها»

وجه رئيس مجلس الوزراء العراقي علي فالح الزيدي، يوم الثلاثاء 12 آب، بإعداد مشروع قانون لحصر السلاح بيد الدولة، وفقا للسياقات الدستورية، مبينا أن أخطر ما يهدد الدولة هو السلاح المنفلت، كونه يقوض سلطة القانون، ويُضعف هيبة المؤسسات الأمنية.

جاء ذلك خلال استقباله رئيس لجنة الأمن والدفاع النيابية، خالد متعب العبيدي، والنواب أعضاء اللجنة.

وبحسب بيان لمكتب الزيدي نشر في وسائل الإعلام ، فقد جرى خلال اللقاء، استعراض الأوضاع في البلاد، والجهود التي تبذلها الأجهزة الأمنية بمختلف صنوفها وتشكيلاتها، لفرض الأمن والاستقرار وحماية حدود البلاد وأجوائها ضد مختلف التهديدات، خصوصا في ظل ما تشهده المنطقة من أحداث وتداعيات.

وأشار الزيدي، وفق البيان، إلى أهمية تعزيز مكانة الدولة بسيادتها وهيبتها ومؤسساتها الدستورية، وتعظيم قدرات المؤسسة العسكرية لضمان الاستقرار الداخلي المرتبط بالاستقرار الاقتصادي والسياسي والأمني، بما يحفظ أمن وسلامة العراق ومقدرات شعبه.

وشدد على ضرورة تكامل العمل والتنسيق بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، من أجل تعزيز الاستقرار، وتشريع القوانين، وتوفير الغطاء التشريعي للخطط والبرامج الحكومية التنموية، مؤكدا أهمية عقد اجتماعات دورية مع لجنة الأمن والدفاع النيابية لإنجاز هذه الملفات.

من جانبه، أكد رئيس لجنة الأمن والدفاع النيابية دعم اللجنة عبر دورها الرقابي والتشريعي لكل إجراءات وخطوات الحكومة، لتقوية الدولة ومؤسساتها الأمنية والعسكرية، وفي مقدمتها تعزيز قدرات القوات المسلحة، وحماية الحدود، وتطوير منظومات الدفاع الجوي، ورفع مستوى الجاهزية، لتحصين أمن العراق وحفظ سيادته من تداعيات الأزمات الإقليمية والدولية.

وشهدت بغداد الأسبوع الماضي أوقات توتر أمني تزامن مع تهديد فصائل مسلحة بالرد على السعودية بعد ضربات استهدفت مواقع للحشد الشعبي. فيما أكد ائتلاف إدارة الدولة، الذي يضم أبرز القوى السياسية الشيعية والسنية والكوردية، خلال اجتماعه في الخامس من أغسطس ضرورة حصر السلاح بيد الدولة، واعتبر الجهات التي تمارس نشاطا يهدد أمن البلاد خارج إطار المؤسسات الرسمية "خارجة عن القانون ويجب محاربتها"

ويعد ملف الفصائل المسلحة من أكثر الملفات حساسية أمام الحكومة العراقية، مع اقتراب موعد 30 سبتمبر الذي حدد سقفا لحصر السلاح بيد الدولة.

» العراقُ ؟... في حَضْرة آراءِ المُواطنينَ«

الحاج ابو سامر الحريشاوي

احكام مضحكة يصدرها القضاء العراقي لانهم تابعين للاحزاب ولو كانو مواطنين فقراء فهل نجد صدور مثل هذه الاحكام بحقهم!!!

باسم الشعب قررت المحكمة الاتي:

1 ـ حبس حسين بركة الشامي مع إيقاف التنفيذ (لكبر سنهِ).

2 ـ حبس جواد الشهيلي مع إيقاف التنفيذ لانه (شاب وفي مُقتبل العمر وطَالب دراسات ولم يسبق الحكم عليه).

3 ـ حبس عبد اللطيف هميم مع إيقاف التنفيذ لانه(رجل كبير في السن وموظف ومستمر بالخدمة ولم يسبق الحكم عليه).

4 ـ فلاح السوداني إيقاف تنفيذ العقوبة (لعدم شموله بقانون العفو السابق 19 لسنة 2008 او بقانون عفو خاص).

5 ـ حبس صادق مدلول وإيقاف التنفيذ لانه (غير محكوم سابقا وان ظروف الدعوى تبعث على الاعتقاد بعدم ارتكابه جريمة عمدية أخرى مستقبلا).

6 ـ حبس ناجحة الشمري رئيسة مؤسسة الشهداء السابقة مع إيقاف التنفيذ.

7 ـ حبس لؤي الخطيب مع إيقاف التنفيذ.

المصدر

النائب السابق / هادي السلامي

****

Hanaa Saad *

مناشدة عاجلة إلى هيئة النزاهة المحترمة

نناشد هيئة النزاهة التدخل العاجل للتحقق من تأخر معاملات احتساب الشهادات فـي مديرية التعليم العام بوزارة التربية، وما يرافق ذلك من غياب آلية واضحة ومعلنة تضمن سرعة الإنجاز والالتزام بتسلسل ورود المعاملات.

ففي الوقت الذي ما زالت فيه معاملات ومحاضر تعود إلى أعوام 2023 و2024 و2025 تنتظر المصادقة والحسم، نشهد إنجاز ومصادقة محاضر من عام 2026 قبل محاضر أقدم منها، الأمر الذي يثير تساؤلات جدية حول آلية ترتيب وإنجاز المعاملات.

كما نطالب بالتحقق من طريقة تعامل إدارة المديرية مع مطالبات أصحاب الحقوق واستفساراتهم عن مصير محاضرهم، بدلًا من اعتبار المناشدات والاستفسارات مصدر تذمر، فهذه المطالبات هي حق لأصحاب المعاملات المتضررين من التأخير.

إن غياب التسلسل الواضح في الإنجاز، وعدم وجود آلية شفافة ومعلنة، قد يفتح بابًا للفساد والابتزاز واستغلال حاجة أصحاب الشهادات، وهو ما يستوجب التدقيق والتحقق من قبل الجهات الرقابية المختصة.

نطالب بآلية واضحة وشفافة تضمن إنجاز المعاملات حسب أسبقية ورودها، وإنصاف أصحاب المحاضر القديمة، والكشف عن أسباب تأخرها، ومحاسبة كل من يثبت تقصيره أو تعمده تعطيل حقوق أصحابها.

حقوقنا ليست منّة من أحد... ونطالب فقط بالعدالة والشفافية وتطبيق القانون.

عن جموع حملة الشهادات المتأخرة الاحتساب في التعليم الأهلي

@إشارة

ـ مكتب النائب الست زليخة الياس البكار / تلعفر
ـ هيئة النزاهة الاتحادية
ـ عبدالكريم عبطان الجبوري
ـ وزارة التربية العراقية

منطقة حي المواصلات البياع

إلى: السيد مدير عام توزيع كهرباء (بغداد / الكرخ) المحترم

الموضوع: مناشدة عاجلة بخصوص معاناتنا مع التيار الكهربائي في حي المواصلات الثانية (مغذي 13)

تحية طيبة وبعد

نعرض على حضراتكم معاناتنا المستمرة والقاسية في منطقة حي المواصلات الثانية والمتمثلة بالنقص الحاد في تجهيز ساعات الكهرباء الوطنية.

وحتى في أوقات التجهيز القليلة التي تصلنا فإن التيار لا يستقر إطلاقاً حيث ينقطع ويعود كل عشر دقائق تقريباً نتيجة الإنطافات المتكررة بسبب الحمل الزائد وسوء توزيع الأحمال على الشبكة.

نحيطكم علماً أن المشكلة الأساسية تكمن في (مغذي 13 (والذي يتحمل عبئاً كبيراً يفوق طاقته الاستيعابية مما يستدعي بصورة عاجلة شطر المغذي وإعادة تقسيط وتقسيم الأحمال بصورة هندسية صحيحة لضمان استقرار التيار ومنع التلف المستمر للأجهزة الكهربائية في منازل المواطنين.

نلتمس من جنابكم الكريم التوجيه إلى الملاكات الفنية والصيانة للكشف الفوري على المنطقة واتخاذ الإجراءات اللازمة لشطر المغذي وتخفيف العبء عنه.

ولكم منا جزيلاً الشكر والتقدير

مقدمو المناشدة:

أهالي وسكان منطقة البياع حي المواصلات الثانية / م /863

التاريخ: 11 / 8 / 2026

شاركوا المنشور فضلا

البياع
منطقة شهداء البياع
النائب رعد اشخير الزيداوي
النائب علي حاتم المكصوصي
اعلام الشركة العامة لتوزيع كهرباء بغداد
مديرية توزيع كهرباء الكرخ ـ المقر
شكاوي الكهرباء

محمد العراقي

الى مجلس القضاء الاعلى وإلى علي فالح الزيدي احنه عدنا ملفات بالنجف هواي اشوكت تجون للنجف الاشرف تستاهل واحد ينظفها من الفساد الي بيها أو جميع الملفات موجوده أو بدليل القاطع مع القانون راح يشردون من النجف احنه نريدهم يتاحكمون أمام العالم وشكراً إلى قضاء العادل في النجف الاشرف أن شالله ما يقصر بس احنه نعرف القرارات من بغداد احنه جاي نخبركم عن ملفات فساد كبيرة في النجف الاشرف.

مراجعات فكرية

غموض سردية التعذيب من منظور البحث التاريخي المعاصر

(2)

الغزالي الجبوري

ت: من الفرنسية أكد الجبوري

في الخامس من يناير/كانون الثاني عام 1757() ، مع حلول المساء، كان لويس الخامس عشر، ملك فرنسا السابق (1710-1774)() ، يستعد لمغادرة قصر فرساي متوجهًا إلى قصر تريانون. استغل داميان حركة الخدم والحراس والعربات المحيطة بمخرج الملك، وتمكن من الاقتراب منه بما يكفي لطعنه بسكين صغير. كان الجرح سطحيًا، إذ بالكاد اخترق السلاح ملابسه الشتوية، مُحدثًا جرحًا سطحيًا، وهو ما حال دون وقوع إصابات مميتة على الأرجح. بقي لويس الخامس عشر واعيًا، وتمكن من العودة إلى القصر، حيث أكد الأطباء أن الإصابة لم تؤثر على أي من أعضائه الحيوية. على الرغم من محدودية الإصابة الجسدية، كان الأثر السياسي هائلًا. فالهجوم على شخص الملك يُعدّ قانونيًا بمثابة هجوم على أسس النظام السياسي الفرنسي. تمثلت ردة الفعل الفورية في إغلاق مداخل القصر، واعتقال المعتدي، وفتح تحقيق غير مسبوق لكشف أي تواطؤ محتمل.

أُلقي القبض على داميان في موقع الهجوم، وخضع لاستجوابات عديدة منذ الساعات الأولى. تُظهر السجلات المتبقية رجلًا متهمًا تراوحت أقواله بين تأكيدات متماسكة وتناقضات وتفسيرات يصعب فهمها. صرّح مرارًا وتكرارًا بأنه لم يكن ينوي قتل الملك، بل تحذيره لتصحيح بعض القرارات المتعلقة بالوضع الديني للمملكة. وقد أثار هذا التصريح جدلًا تاريخيًا حادًا. يعتقد بعض الباحثين أنه يعكس قناعة حقيقية، بينما يرى آخرون أنه كان استراتيجية لتجنب تهمة قتل الملك. المؤكد أن القانون الفرنسي كان يعتبر الاعتداء على شخص الملك جريمة من أخطر الجرائم، بغض النظر عن نتيجة الاعتداء. وبالتالي، فإن الفرق بين محاولة الجرح ومحاولة القتل لم يُغيّر كثيراً من التبعات القانونية التي يواجهها المتهم.

مع تقدم التحقيق، اتخذت القضية أبعادًا استثنائية. فُتشت المنازل، وفُحصت الرسائل، واستُجوب أفراد العائلة وأصحاب العمل السابقون والمعارف، وتُتبّع كل تحركات داميان في السنوات السابقة. يكشف نطاق الإجراءات عن الأهمية السياسية المنسوبة للهجوم، وعن حرص السلطات على استبعاد وجود مؤامرة. ومن المفارقات، أن الكم الهائل من الوثائق التي نتجت عن هذا التحقيق عزز فرضية العمل الفردي. جمع القضاة مئات الإفادات دون العثور على دليل قاطع على وجود منظمة وراء الهجوم. لم يُبدد هذا النقص في الأدلة جميع الشكوك لدى المعاصرين، ولكنه أثر على تقييم المؤرخين المعاصرين، الذين يعتقدون أنه بالمعلومات المتاحة حاليًا، لا يوجد أساس موثق للتأكيد على أن داميان تصرف كجزء من مؤامرة. انتهى التحقيق، الذي صُمم لكشف شبكة خفية، بتقديم صورة أكثر تعقيدًا وغموضًا لشخص تحولت حياته العادية، في غضون دقائق، إلى واحدة من أكثر القضايا القانونية دراسة في القرن الثامن عشر().

دارت الإجراءات القانونية تحت إشراف برلمان باريس، وهي مؤسسة، إلى جانب ممارستها للوظائف القضائية، احتلت مكانة مركزية في الحياة السياسية للمملكة. ومنذ البداية، واجه القضاة ضغوطًا هائلة. لم يكن الاعتداء على الملك جريمة عادية، بل كان اعتداءً على النظام القانوني والديني الذي قامت عليه الملكية الفرنسية. ففي عهد النظام القديم، كان الملك يجسد في آنٍ واحد السلطة السياسية والبعد الرمزي المرتبط بالحق الإلهي. ولهذا السبب، كان على المحاكمة أن تثبت أن العدالة ما زالت قادرة تمامًا على إعادة النظام الذي أخلّ به الاعتداء. تكشف سجلات المحاكمة عن إجراءات مطولة ودقيقة، لم تركز كثيرًا على تحديد هوية الجاني - وهو أمر لم يُطعن فيه قط - بقدر ما ركزت على كشف الدوافع والتأثيرات والمتواطئين المحتملين الذين ربما دفعوا داميان. ومع ذلك، كلما تعمق التحقيق، كلما اتضح غياب أي جماعة منظمة تقف وراء المتهم.

ومن أكثر الجوانب التي أثارت جدلًا بين المؤرخين الحالة العقلية لداميان. خلال القرن الثامن عشر، لم يكن هناك فهم طبي للأمراض العقلية يُضاهي فهمنا اليوم، لذا استندت التصنيفات التي استخدمها القضاة والشهود إلى معايير أخلاقية ودينية لا سريرية. وصفه بعض معاصريه بأنه رجل غير مستقر، تسيطر عليه أفكار وسواسية وتقلبات مزاجية مفاجئة؛ بينما زعم آخرون أنه كان ببساطة شخصًا مندفعًا قليل التعليم، اقتنع بأنه يؤدي نوعًا من مهمة إصلاحية تجاه الملك. لا يُعد أي من هذه الروايات تشخيصًا بالمعنى الحديث. وقد أكدت الدراسات التاريخية الحديثة على أن إسناد اضطرابات نفسية بأثر رجعي استنادًا إلى وثائق المحاكم في القرن الثامن عشر يُعد خطأً منهجيًا. تسمح لنا المصادر بالتأكيد على أن سلوكه كان يُعتبر غريبًا حتى من قِبل بعض من عرفوه، لكنها لا تُجيز استخلاص استنتاجات طبية قاطعة. هذا التحذير ضروري لمنع التفسيرات النفسية من أن تحل محل التحليل التاريخي.

تضمنت الإجراءات القانونية استخدام التعذيب، وهي ممارسة مسموح بها قانونًا في بعض الجرائم الخطيرة للغاية. من المهم توضيح أن التعذيب المستخدم خلال التحقيق كان له غرض قانوني محدد: الحصول على معلومات تُعتبر ذات صلة بالمحاكمة، لا سيما

تتمة ص التالية

فيما يتعلق بالمتواطئين المحتملين. وقد أخضعت الاستجوابات داميان لمعاناة جسدية شديدة، موثقة في سجلات المحاكمة نفسها. وعلى الرغم من ذلك، أصرّ المتهم باستمرار على أنه تصرف بمفرده. شكّك القضاة في هذا الرد لأسابيع، مقتنعين بأنه لا يمكن لأي خادم بلا نفوذ أن يُدبّر بمفرده هجومًا على الملك. ومع ذلك، فشل التحقيق في إثبات عكس ذلك. يكتسب هذا الجانب أهمية خاصة لأنه يُناقض الاعتقاد السائد بأن الاعترافات المنتزعة تحت التعذيب تُؤكد دائمًا فرضيات القضاة. في قضية داميان، حدث العكس: توقعت الآلية القضائية كشف مؤامرة، وانتهى بها الأمر أمام ملف قضية عاجز عن إثبات وجودها.

عكست العقوبة التي أصدرها برلمان باريس المفهوم العقابي السائد لجرائم إهانة الذات الملكية. لم يقتصر العقاب على إقصاء الجاني فحسب، بل سعى أيضًا إلى إعادة السلطة المظلومة علنًا من خلال مراسم منظمة بدقة. أمر الحكم بنقل داميان إلى ساحة غريف، وإخضاعه لشعيرة توبة علنية، ثم إعدامه بتعذيب شديد للغاية.() وُصفت كل مرحلة بدقة قانونية، بدءًا من كشف جسده وحتى تقطيعه. لم يكن هذا الإجراء ارتجاليًا نابعًا من رغبة في الانتقام الشعبي، بل التزم بالمعايير القانونية المتراكمة على مر القرون لمعاقبة الاعتداءات على شخص الملك. هذه الطبيعة المنظمة تحديدًا هي التي تفسر الاهتمام اللاحق الذي أبداه مؤرخو القانون والمفكرون ، مثل ميشيل فوكو، الذي رأى في هذه القضية تعبيرًا واضحًا عن المنطق العقابي للنظام القديم.

نُفذ الإعدام في 28 مارس 1757() ، أمام حشدٍ احتشد في ساحة غريف، الموقع المعتاد لتنفيذ الإعدامات العلنية في باريس. أدلى العديد من شهود العيان بشهاداتهم حول الحادثة، وإن اختلفت في بعض التفاصيل البسيطة. إلا أنهم اتفقوا على أن المحنة كانت طويلة وشاقة للغاية. واجه الجلادون صعوبات في إتمام عملية التقطيع باستخدام الخيول، مما اضطرهم إلى تكرار المحاولات عدة مرات قبل أن يتمكنوا من فصل أطراف المحكوم عليه. هذه الحقيقة، التي وثقها شهود عيان مختلفون، تُفسر جزءًا من الأثر العميق الذي تركه الإعدام على من شهدوه. لم يكن عنف العقوبة هو الأثر الوحيد، بل أيضًا الصعوبات التقنية في تنفيذها وفقًا للحكم.

انكشفت الفجوة بين القانون والواقع المادي للتعذيب أمام آلاف المتفرجين، الذين عبّر بعضهم عن الرعب بدلًا من الرضا عن المشهد.

بعد الإعدام، تم تصغير جثة داميان ومعاملة رفاته وفقًا للحكم، بهدف منع أي شكل من أشكال التبجيل أو التذكير المادي بالمحكوم عليه. في الوقت نفسه، اتخذت السلطات إجراءات ضد عائلته.() في القانون الفرنسي آنذاك، كانت بعض الجرائم الخطيرة للغاية تسمح بفرض عقوبات تؤثر بشكل غير مباشر على الأقارب، حتى لو لم يشاركوا في الأحداث. فقد اضطرت زوجته وابنته وأقارب آخرون إلى مغادرة بعض المدن وتغيير جوانب من هويتهم لمنع استمرار ربط اسم العائلة بمحاولة اغتيال الملك. تعكس هذه الأحكام سمةً من سمات النظام القديم غريبةً اليوم عن معظم الأنظمة القانونية: فكرة أن بعض الجرائم تُنتج عواقب اجتماعية تتجاوز مرتكبها. بمرور الوقت، طغى الطابع المروع للإعدام على هذا البُعد العائلي للقضية، رغم أنه شكّل جزءًا لا يتجزأ من الرد الرسمي.

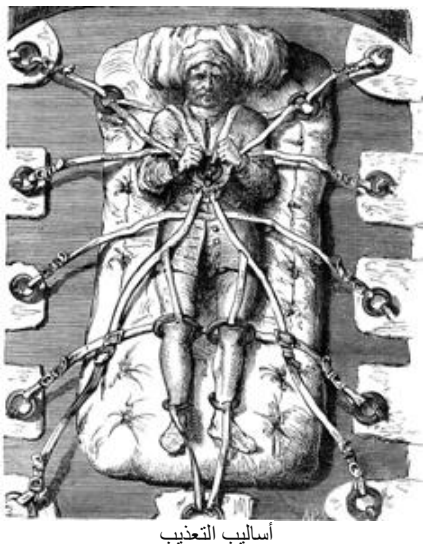
أساليب التعذيب

لعقود، ظل اسم داميان مرتبطًا بشكل أساسي بسجلات المحاكم والمؤلفات المتخصصة في عهد لويس الخامس عشر. لم تحتل شخصيته مكانةً بارزةً في الذاكرة الوطنية الفرنسية تُضاهي مكانة شخصيات أخرى مرتبطة بالثورة أو الإمبراطورية. لم يستعد ميشيل فوكو شهرته الدولية غـــير المتوقعة إلا فـــي

طريقة استجواب روبرت فرانسوا داميان

النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك بفضل نشر كتابه "المراقبة والمعاقبة" عام 1975() . اختار فوكو أن يفتتح كتابه بوصف تعذيب داميان، ليس لأنه اعتبر المحكوم عليه حالة استثنائية، بل لأنه رأى في ذلك الإعدام نموذجًا مثاليًا لآلية عمل السلطة العقابية قبل الإصلاحات الجنائية الحديثة. استخدم الفيلسوف هذه الحادثة كنقطة انطلاق لتحليل التحول التاريخي لأشكال العقاب، محولًا التركيز من سيرة المعتدي إلى الآليات المؤسسية للدولة. كان لهذا الاختيار نتيجة متناقضة: فقد عرف ملايين القراء اسم داميان، لكن قلة منهم اهتموا بحياة الرجل الذي تقف وراء القصة الافتتاحية الشهيرة.

أخيرًا، من منظور البحث التاريخي المعاصر، لا يزال روبرت فرانسوا داميان شخصيةً يكتنفها الغموض. فكمية الوثائق التي جُمعت خلال المحاكمة لم تُجب على جميع التساؤلات حول دوافعه، وربما لن تفعل ذلك أبدًا. إلا أن ما أثبتته هذه الوثائق بيقين معقول هو أن العديد من التفسيرات التي انتشرت لقرون تفتقر إلى الدعم الوثائقي: فلا يوجد دليل قاطع على وجود مؤامرة سياسية، ولا على انتماء مُثبت إلى اليانسينية المتشددة، ولا على تشخيص طبي يُفسر سلوكه وحده. إن قصة داميان، إلى حد كبير، هي قصة قضية قانونية ضخمة بُنيت حول رجل عادي زعزعت أفعاله مؤقتًا الاستقرار الرمزي للملكية الفرنسية. وبعد أكثر من قرنين ونصف، لا يزال الاهتمام الذي تُثيره هذه القصة لا يكمن فقط في محاولة اغتيال لويس الخامس عشر أو في التعذيب الشهير الذي وصفه فوكو، بل فيما تكشفه هاتان الحادثتان عن العدالة والسلطة، والطريقة التي تعاملت بها دول القرن الثامن عشر مع أولئك الذين شككوا، ولو بشكل فردي، في السلطة المطلقة للملك.

آراء حرة

أسرار تجارتهم

د.سناء شامي *

التجارة لا تنفصل عن السياسة...التجّار و التجارة في الغرب خصوصاً و في العالم عموماً، عبر التاريخ و منذ زمن فرسان الهيكل إلى زمن صندوق النقد و البنك الدولي، كان التجّار و الحاخامات اليهود و الطبقات التي تدور حولهم و جمعياتهم السرية، تنتشر و تتغلغل بين المجتمعات و تعمل على تغيير أنسجتها الأخلاقية و الإجتماعية، و شراء ذمم ساستها. و من هنا جعلوا من لندن عاصمة المال، و أسس أول بورصة في عام 1571 ميلادية، السير المرابي اليهودي الإنكليزي توماس غرشام الذي كان المستشار المالي للملك أدوارد السادس و الملكة إليزابت الأولى، لتكون أول مركزاً لتبادل الأسهم و البضائع و عقد الصفقات بين التجار و توفير المال لهم من المرابين، و السير غرشام كان أول مؤسس لمصلحة صك العملة الإنكليزية، الذي كان يجلب لها الذهب من يهود ألمانيا و هولندا و إسبانيا من أجل ضبط نسبة المعادن النفيسة في العملة و توحيدها، و كان للسير غرشام نظرية إقتصادية معروفة بقانون غرشام، و فحواها هو أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من الأسواق، لأن التجار يسحبون من الأسواق العملة النفيسة و تبقى الرديئة هي المتداولة. غرشام يهودي تحول إلى الديانة البروتستانتينية، و هو أو أستاذ أعظم للماسونية في لندن و جنوب إنكلترا بعد توحيد محافلها.

هل تعرفون شيئاً عن شركة الهند الشرقية؟ أطرح هذا السؤال، لأن هذه الشركة كانت بمثابة الدولة الخفية التي حرّكت و تلاعبت بصمت في سياسات الإمبراطوريات، بما فيهم الإمبرطورية البريطانية. تم تكوين الشركة في عام 1590، بعد إنتصار الإنكليز على الإسبان، حينها قدم تجار إنكليز يهود إلتماساً إلى الملكة إيزابيل الأولى للسماح لهم بالإبحار فـــي المحيط الهندي لكسر إحتكار الإسبان للتجارة مع الشرق، و بعد موافقة الملكة أبحرت ثلاثة سفن إلى الشرق بقيادة جيمس لانكستر (إسمه الأصلي مجهول, و أصله يهودي برتغالي، صار بريطاني بعد وصوله لبريطانيا) عبر رأس الرجاء الصالح و وصلت سفنه إلى أرخبيل الملايو، ثم عادت بعد3 سنوات محملة بالبضائع، تلتها حملات عدة. يقول جيمس ميل, في كتابه تاريخ الهند البريطانية: بأنه في عام 1599 إتفق عدد مئة من التجار في لندن على تأسيس شركة للتجارة بين إنكلترا و جزر الهند الشرقية و تأسيس خط ملاحي لها، و في 31 سبتمبر من عام 1600، أصدرت الملكة مرسوماً لهؤلاء التجار (215 تاجر) سمحت لهم بإقامة هذه الشركة و حق إحتكار الإنكليز للتجارة في المناطق الواقعة بين رأس الرجاء الصالح شرقاً و ماجلان غرباً، ثم صار إسم هذه الشركة، شركة الهند البريطانية، إلا أنها في الواقع شركة خاصة، لا حق لها للدولة فيها، فهي ملك لهؤولاء التجار و عائلاتهم فقط، و الذين إستطاعوا من خلال هذه الشركة توسيع نفوذهم في العالم و بناء موانئ لهم في الملاوي، في شمال الموزمبيق، و كما إستطاعوا أن يؤثروا بشكل مباشر في سياسات الدول الغربية، لدرجة إن سلطتهم في الهند باتت أكثر فعالية من سلطة ملوك بريطانيا نفسها. كانوا فعلياً بمثابة ما تسمّى اليوم بالدولة الخفية، و عملوا بهدوء ، و هذا الفراغ في المدى البعيد يكون جاهزاً لأن يملئه اليهود فيما بعد، ففي 1590, لم يكن اليهود جاهزين لهذا الدور رغم نفوذهم و رغم كانوا مندسين و متغلغلين في أروقة القصور و الجامعات و مؤسسات تلك الدول الأوربية... بينما الدول الأوربية في ذلك الزمن كانت قادرة على إسقاط الإمبراطورية العثمانية و إستطاعوا فعلاً محاصراتها، إلا إن نفوذ هذه العائلات المالكة لشركة الهند البريطانية و علاقاتهم مع حاخامات و تجار اليهود الأقوياء و المتنفذين في قصور بقية دول أورب، عملوا على تأجيل سقوط الإمبراطورية العثمانية سبعون عام، كي يهيئوا أنفسهم للدور القادم، و ليمنعوا الدول الغربية من السيطرة الفعلية، لأن دورهم يجب أن ينحصر في مهمة الوسيط أو أن يكونوا أدوات فقط تخدم مشروع بسط نفوذهم على العالم... في ذلك الوقت، كما اليوم، كان خوف بريطانيا عظيماً من التدخل الروسي القيصري في المنطقة رغم إن روسيا كانت حليفتها، و بالتالي فأن إطالة عمر الأمبرطورية العثمانيّة كان ضروري للحيلولة من التدخل الروسي و توسعه على حساب بريطانيا (التي يتحكم التّجار اليهود بسياستها و إقتصادها) و الغرب، و منعه من الوصول إلى الهند، علماً أن روسيا كانت حليفة إنكلترا ضد بقية الأمبرطوريات الغربية. و في معاهدة لندن 15 يوليو 1840،بين روسيا، النمسا، بريطانيا و بروسيا من جهة، و الإمبراطورية العثمانية من جهة أخرى، أجبروا محمد علي باشا الإنسحاب من الشام، و جزيرة كريتا و مُنعت القوى الأوربية من إسقاط الدولة العثمانية... الجميع يعلم كم كان، و كم هو قوي نفوذ اليهود في روسيا القيصرية، و ماذا كانوا يطبخون لإسقاط القيصر، و من هنا يمكن القول منذ القِدم إلى يومنا هذا، فأنه ليس من مصلحة روسيا الإصطدام مع النفوذ العبري، و إذا نظرنا اليوم إلى "دولة إسرائيل"، فأننا نرى بأن أكثر من 90% من زعماؤها السياسيين هم من أصل روسي. كانت روسيا أيضاً الطرف الثالث الذي وقع على معاهدة سايكس بيكو عام 1916، و كان قد وقع تلك المعاهدة وزير الخارجية روسيا القيصرية سيرغي سازونوف، مقابل أن تحصل روسيا على أستانه و المنطقة الواقعة بين البوسفور و الدردنيل، لكن روسيا القيصرية إنسحبت من هذه المعاهدة في عام 1917، أي مع إندلاع الثورة البلشفية و سقوط القيصر... إن عرضي التاريخي لبعض النقاط، لا يعني إتهام روسيا بالخيانة، كما لا يعني النظر إليها كبطل إسطوري يدافع عن سوريا... كما لا يعني أيضاً، جلد الذات و الإستمرار شتم العدو، الذي يستحق كل الشتائم، إلا إنه في الإستراتيجيات الدولية للسياسة في زمن السلم و الحرب تُقاس بالعمل و التخطيط و المساومات و التقدم و التراجع، و حساب المستقبل بمقياس عمل المضارع... الزمن الماضي يلزم للتعلّم و زيادة الخبرات، آليات المستقبل، مرتبطة إرتباط وثيق بالعمل الجماعي اليومي على جميع المستويات و الأصعدة. الوعي بالتاريخ و إستعمال المنطق من أجل تحديد الأهداف و الأولويات حتى في قلب هذا الدمار و الخراب الذي تمر به سوريا

تتمة ص التالية

أسرار تجارتهم

و الأمة العربية، هو أمر حتمي و ضروري لحماية وجود الأمة و حضاراتها. العمل على الحفاظ على الهويات و التراث و الوجود في زمن الحروب، هو عمل أساسي من خلاله ينهزم التجار الصهاينة الذين لم يتوقفوا يوماً عن تزوير تاريخ الحضارات، من أجل عجن حضارة تناسب مقاييس مشروعهم المريض بحكم العالم. أسأل تجار بلاد الشام الأذكياء و أصحاب الحنكة في التجارة، هل وظفتم تجاراتكم من أجل مشروع قومي حضاري؟ أم تجاراتكم كانت غاية في حد ذاتها من أجل الثراء؟ ليس عيباً التعلّم من دهاء العدو و إجتهاده و دأبه المدروس. إن أصحاب المشروع، المسمّى اليوم بالمشروع الصهيوني، عملوا و ما زالوا يعملون بجهد و تنسيق و تخطيط مسبّق و دراسات و مشاريع علمية، تربوية، إعلامية، آكاديمية، إستخباراتية، ليس فقط اليوم بل منذ زمن بعيد. إن التجار أصحاب شركة الهند البريطانية كان لديهم جهاز إستخباري قوي منتشر في أنحاء العالم، و كـــانوا يجيدون توظيف المعلومـــة و إستغلالها لصالحهم في زمن الحروب، و رغم أن جميع دول العالم حاولت كسر مشروعهم، إلا أنهم لم يتوقفوا يوماً عن العمل لتحقيق هدفهم، بغض النظر عن طبيعته الإجرامية المريضة. في عام 1290طرد الملك إدوارد الأول اليهود من إنكلترا بسبب مرابيهم الذين يقرضون المال بفوائد عالية، و لمنعهم تمويله في حربه ضد ويلز. لكن أعادهم إلى إنكلترا الملك كرمويل بعد ثورته الجمهورية التي أطاحت بالملك تشارلز الأول الذي تم إعدامه بعد محكمة صورية على يد االمدعي العام إسحاق دوسلاوس، و هو يهودي برتغالي من يهود المارانو (يهود إدعوا دخول المسيحية و كانوا تجار نافذين السلطة و الثروة و لديهم جهاز إستخباري خاص بهم، و هم من سندوا و موّلوا كروميل في ثورته)، تم إعادة اليهود إلى إنكلترا، بناءً على إتفاق بين مينشّا إبن الحاخام إسرائيل في هولندا، و هو من أمّن تمويل ثورة كروميل, مقابل إسقاط الملكية و ترسيخ حكم الجمهورية و البرلمان و إعادة اليهود إلى إنكلترا. من هذا المثال، نلاحظ بأن لا فصل لديهم بين الدين و الدولة و التجارة و الإقتصاد و المال، و كل هذا معاً يُشكل قوة ناعمة ثاقبة. هم مجتهدون و مصممون على مخططاتهم من خلال العمل و التأني و التخطيط من أجل هدف واحد جامع شامل، و هذا ما يجب التعلم منه و التخطيط له للمدى البعيد، فحفظ الوجود ليس فكرة آنية، بل هو عمل دائم يوّرث للأجيال القادمة. كان هناك الإمبرطورية العثمانية ثم تفككت، و بلاليص ستان التي يختال بها آردوغان، لم تكن موجودة ثم كانت... و مصر كانت ملكية و صارت جمهورية، و إمبرطورية إنكلترا في الهند بادت و الهند إستقلت، و بريطانيا نفسها لم تعد إمبرطورية، و حلت محلها في الشرق الولايات المتحدة الأمريكية الصهيونية, و روسيا القيصرية سقطت و صارت شيوعية، و كل شيئ يزول، و يتراكم و الأمر الوحيد الذي إستغل و يستغل تراكمات سقوط الأمم، هو المشروع اليهودي الصهيوني، الذي لم يتوقف يوماًعن التقدم نحو هدفه الأخير: حكم العالم.

"تجمع الفاو زاخو يعلن تأسيس.. أكاديمية لإعداد القيادات الوطنية"

أعلن تجمع الفاو زاخو مؤخرا عن إنشاء منصة تدريبية وفكرية تهدف إلى إعداد جيل واعٍ من الشباب والكفاءات الوطنية.

وجاء في بيان له نشر على منصات التواصل الاجتماعي: إيمانًا بأن بناء الوطن يبدأ من بناء الإنسان الواعي والقادر على القيادة، يسرّنا أن نعلن عن انطلاق أكاديمية الفاو زاخو لإعداد القيادات الوطنية.

أكاديمية تهدف إلى تطوير قدرات الشباب والكفاءات الوطنية، ورفع مستوى الوعي السياسي والمجتمعي، وبناء شخصية قيادية تمتلك المعرفة والمهارة والقدرة على اتخاذ القرار.

من برامج الأكاديمية:

- مدخل إلى علم السياسة والسياسة العراقية
- الوعي السياسي وفهم المشهد العراقي
- مهارات القيادة وصناعة القرار
- فن الحوار والتفاوض
- الإدارة والعمل المؤسسي
- التخطيط الاستراتيجي
- العمل الشبابي والتطوعي
- بناء المبادرات وخدمة المجتمع

هدفنا: إعداد جيل من القيادات الوطنية الواعية، القادرة على المشاركة الفاعلة في بناء دولة المؤسسات وخدمة المجتمع.

ندعو جميع الشباب والكفاءات والمهتمين بالشأن العام إلى متابعة الأكاديمية والمشاركة في برامجها ومحاضراتها.

أكاديمية الفاو زاخو لإعداد القيادات الوطنية
علمٌ | وعيٌ | قيادةٌ | خدمةٌ وطنية

تابعونا عبر قناة الأكاديمية على التلكرام لمعرفة مواعيد المحاضرات والدورات القادمة.

https://t.me/alfaw_zako_academe

الواتساب

https://chat.whatsapp.com/DZJKd6cxjS3KmE0VA3jltc?s=sh&p=a&ilr=1

آراء حرة

انهيار الأخلاق الرقمية..
ظاهرة الشتائم والطعن بالأعراض بسبب الاختلاف بالرأي

أسعد عبدالله عبد علي

اثار استغرابي عندما اقرا تعليقات المجتمع على منشورات سياسية وتاريخية بل وحتى رياضية , حيث تصل الى حد الطعن بالأعراض فقط لأنه يختلف معه بالراي, فمن خالفهم يجب ان يكون ابن حرام, لأنه يجزم ان رايه معصوم من الخطأ. وهذا قمة الجهل والانحراف وهو مع الاسف في تكاثر عجيب.

كان يجب ان يكون الاختلاف في الرأي هو المحرك الأساسي لتوليد الأفكار، وتطوير السياسات، وإثراء التنوع الفكري والثقافي. غير أن المشهد في المجتمع العراقي يشهد انحرافاً حاداً ومقلقاً عن هذه القاعدة؛ حيث يتحول التباين في وجهات النظر من مساحة للحوار البناء إلى حلبة صراع مفتوحة تُستباح فيها الكرامة الإنسانية، وتغيب فيها لغة العقل لصالح ثقافة السب، والشتم، والتجاوز الشخصي... هذه الظاهرة لها تجلياتها العميقة في مجتمعنا, فحين يتصفح المرء منصات التواصل الاجتماعي أو يستمع إلى النقاشات العامة في الشارع العراقي، يفاجأ بحجم الكثافة اللفظية الهابطة, وسهولة الانزلاق نحو التخطئة والتشهير بمجرد أن يطرح شخص رأياً مخالفاً للمألوف. فما هي الأسباب لهذه الظاهرة المستشريّة؟ وكيف يمكن للمجتمع العراقي أن يتعافى منها ليبني ثقافة حوار تستوعب الجميع؟

من المؤكد ان الظاهرة لها اسباب, فليست وليد الصدفة, بل هو ثمرة تفاعل معقد لعدة عوامل تاريخية ونفسية واجتماعية وسياسية

اولا: الإرث الصدمي وتراكمات العنف السياسي والاجتماعي

لعقود طويلة، تركت السلطات الغاشمة والحروب العبثية والسياسات الرعناء, إرثاً دامياً حفر ندوباً عميقة لا تُمحى في ذاكرة ووجدان الشعب العراقي، فلم يكن الدمار الماثل في البنى التحتية سوى واجهة هزيلة لخراب نفسي واجتماعي أشد وأقسى, صاغته آلة الموت الطاغوتية, والعقوبات الدولية الظالمة التي أكلت الأخضر واليابس.

إن التاريخ السياسي الحديث للعراق يعج بالاستبداد المطلق, الذي غاب فيه صوت العقل وأُسكتت الألسنة بالقمع والاعتقال والتصفية الجسدية المنهجية لمعارضي السلطة، وهو مناخ قائم على الإرهاب الحكومي زرع في الفرد رعباً جذرياً, وجعل التعبير عن الرأي خطيئة تكلف الإنسان حياته، لينشأ إثر ذلك مجتمع مأزوم, يعيش في حالة استنفار عصبي دائم بعد أن تلت ديكتاتورية الدم حروب عبثية متلاحقة وسنوات عجاف من الحصار الدولي القاسي في التسعينيات الذي أفقر العباد ودمر الطبقة الوسطى وجعل البقاء معركة شرسة.

وما إن تنفس المجتمع الصعداء حتى زُج به في أتون حرب أهلية وعنف طائفي وإرهاب أعمى بعد عام 2003 تحولت فيه الهوية والكلمة إلى سبب للقتل الفوري، لتفرغ هذه الصدمات المتلاحقة المؤسسات الاجتماعية من قدرتها على الاحتواء وتحول الشارع إلى غابة يحكمها قانون الخوف.

ونتيجة لهذا التراكم المرير تحول الأمر إلى مجتمع تدافعي متوتر يفقد فيه الفرد القدرة على تقبل الحوار أو الاختلاف الطبيعي، فيرى في الرأي الآخر خنجراً موجهاً لرقبته, ويلجأ غريزيّاً وبشكل عدائي إلى الهجوم الاستباقي, والشتائم, والرفض المطلق, كدرع واقٍ يحمي به هشاشته النفسية العميق.

ثانيا: غياب دولة المؤسسات وسيادة القانون وهشاشة الردع

حين تتهاوى هيبة الدولة المدنية وتتراجع سيادة القانون لتتوسد المذلة لصالح الأعراف الفرعية والعشائرية والانتماءات الحزبية الضيقة، يرتع الغوغاء في ساحة الفوضى بشعور مقيت بالحصانة الوهمية في الفضاء الرقمي والواقعي على حد سواء، وكأنهم فوق العقاب وفوق المبدأ.

إن غياب السلطة الرادعة والتطبيق الصارم للقانون ضد جرائم التشهير والسب العلني, قد حول وسائل التواصل الاجتماعي من فضاء

للتواصل والارتقاء إلى مزبلة علنية, ومساحة مباحة بلا خجل للتنفيس عن العقد النفسية والأمراض المستحكمة بلا أدنى خشية من ملاحقة أو مساءلة، فصار الشاتم الجبان آمناً مطمئناً من أي عقاب، يمارس سفالته اليومية محتمياً بضعف الدولة وبتواطؤ منظومة مجتمعية تبارك الابتزاز والانحطاط، لتتحول الشاشات إلى خنادق يطلق منها السفهاء سمومهم وهم يظنون أنهم خالدون لا يمسهم سوء، في أبشع صورة لانهيار الأخلاق وضياع الحقوق تحت طائلة الإفلات الفاضح من العقاب.

ثالثا: ثقافة الاستقطاب العصبي والهويات الفرعية

تبّاً لهذا الوحل الآسن الذي يسمى خطابات عامة في العراق، حيث تتقاذفه عصابات الحزب والطائفة ونتن العشائر والمناطقية البغيضة، في مهزلة تاريخية فرغت الوطن من معناه وجعلت العيش فيه جحيماً لا يُطاق.
في ظل هذه الهويات المغلقة والمتحجرة، انحدر الفكر إلى أدنى درجات الانحطاط؛ فلا مكان لشريك في الوطن أو لصوت عاقل يطرح رؤية تُمتحن بمنطق أو حوار، بل يُرمى المخالف في الرأي بنعوت التخوين ويُصنف كـ "خصم" نجس يجب تسقيطه وقتله معنوياً وإلغاؤه من الوجود بلا هوادة.

إن هذا الاستقطاب الحاد والمقيت قد حول ساحات النقاش إلى ميادين للرعاع، حيث بات التجاوز اللفظي والشتائم السافحة العملة الرائجة والوسيلة الدنيئة الوحيدة لإثبات الولاء الأعمى للجماعة وتأكيد الانتماء للقطيع، فصار الوغد يتفاخر ببذاءته طالما

تتمة ص التالية

أنها تُرضي غرور حزبه أو عشيرته، في أبشع سقوط أخلاقي يثبت أن هذه العصبيات قد دمرت عقل الأمة وأغرقت حاضرها في مستنقع الجهل والاستئصال.

رابعا: الانفجار الرقمي وغياب التربية الإعلامية

ان هذا الانفجار التكنولوجي الأعمى هو الذي ألقى بهواتف الذكاء والغباء معاً في أيدي قطيع همجي, يفتقر لأدنى مقومات الثقافة الرقمية أو الوعي الإنساني، فبدلاً من أن تكون منصات التواصل نوافذ للرقي والمعرفة، تحولت بفضلهم إلى مفرخات للجهل والبذاءة تقذف سمومها في كل وجه بلا حياء أو رادع.

إن غياب أي أبجدية لآداب الحوار الرقمي قد تزاوج مع داء "الجيوش الإلكترونية" الجبانة وحساباتها الوهمية المأجورة التي تقودها عصابات وأحزاب لا تعرف سوى التخريب، ليصبح المجتمع أسير حسابات رخيصة تبحث عن تفاعل تافه وتصنع "ترنداً" قذراً على أطلال القيم والأخلاق عبر إثارة غرائز الغوغاء وإشعال حروب الصراعات الوهمية، وكل ذلك لأجل إرضاء نزوات مرضية أو قبض ثمن بخس من سحت الحزب والزعيم، في مهزلة رقمية فاضحة تجسد أبشع صور الانحطاط القيمي وتثبت أن التكنولوجيا حين تقع في أيدي الجهلة تصبح سلاحاً مدمراً, يغرق المجتمع في بحر من الشتائم والانحطاط غير المسبوق.

أفكار وحلول لمعالجة الأزمة وإصلاح الخطاب العام

إن معالجة هذا الخلل الثقافي والأخلاقي تتطلب شجاعة مجتمعية وجهوداً متكاملة على عدة مستويات، بعيداً عن الحلول الترقيعية:

تفعيل القوانين الرادعة للجرائم الإلكترونية والتشهير:

لا يمكن أبداً الحد من هذه التجاوزات اللفظية الوضيعة والشتائم لم تُسنّ فوراً تشريعات قانونية صارمة كالسيف، تُطبق بعدالة مطلقة على الكبير قبل الصغير, لمنع مهزلة الإساءة والتشهير والابتزاز الإلكتروني التي تعيث فساداً في كل مكان، فتاريخ العبث هذا لن يتوقف إلا بقانون صارم يضع حداً قاطعاً لسياسة الإفلات الفاضح من العقاب التي أمن بها السفهاء. ولذا يجب أن تُفرض هيبة الدولة بقرارات صارمة ترسخ رسالة واحدة لا تقبل التأويل بأن حرية التعبير المزعومة ليست ترخيصاً للسب والبذاءة، بل هي حق تنتهي حدوده الفاصلة فوراً حيث تبدأ كرامة الآخرين وحرياتهم المصونة، ليعلم كل وضيع أن القانون بالمرصاد لكل من تسول له نفسه انتهاك أعراض الناس وكراماتهم.

2. إصلاح المناهج التعليمية وغرس ثقافة الاختلاف

إن التعليم هو حجر الأساس الصلب الذي لا مفر منه لأي تغيير حقيقي ومستدام في بنية المجتمع العراقي الذي أنهكته عقود الجهل والتخلف المنهجي، ولذا بات لزاماً وبشكل عاجل إعادة صياغة المناهج الدراسية لتتحرر من أسر التلقين والحفظ الأعمى الذي يفرز عقولاً جامدة تفتقر للوعي، ولتتجه بشكل مكثف وحاسم نحو بناء إنسان واعٍ.

عبر إدراج مواد وبرامج تركز بقوة على تعليم مهارات التفكير النقدي والمنطقي التي تمكن النشء من تفكيك الأكاذيب ورفض التبعية العمياء، وتدريب الأجيال الجديدة عملياً ونظرياً على كيفية الاستماع للرأي الآخر وتقبله برحابة صدر بدلاً من غريزة الإلغاء والتكفير السائدة.

فضلاً عن غرس مفاهيم آداب الحوار وأخلاقيات النقاش الديمقراطي الراقي منذ المراحل المدرسية المبكرة لتكون جزءاً لا يتجزأ من الهوية الفكرية للطفل، لضمان نشوء جيل يقدس الحجة بالحجة ويحترم كرامة المختلف عنه، مقتلعاً بذلك جذور البذاءة والتعصب العشائري والحزبي من عقلية الأمة قبل أن تترسخ.

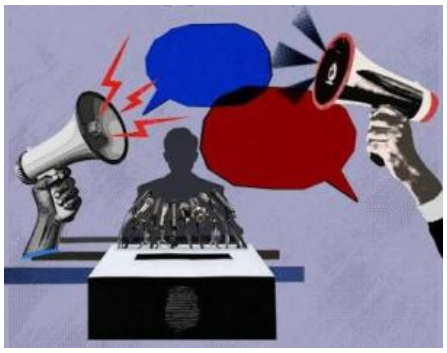

3. دور النخب الثقافية والدينية والإعلامية في تهذيب الخطاب

تحمل النخب المؤثرة في المجتمع العراقي من صناع محتوى، وإعلاميين، ومثقفين، ورجال دين، مسؤولية أخلاقية وتاريخية كبرى في هذا السياق؛ إذ يجب عليهم القيادة بالقدوة الحسنة والامتناع بشكل قاطع عن استخدام لغة التخوين والتحقير في برامجهم ومنابرهم التي تساهم في تسميم الوعي الجمعي.

بالتوازي مع ضرورة مقاطعة الأصوات الشعبوية الرخيصة التي تقتات على إثارة الفتن والشتائم, لتحقيق أعلى نسب المشاهدات والترندات الوضيعة، والترويج بدلاً منها وبكل حزم للشخصيات الرصينة والكفاءات الواعية التي تطرح أفكارها برقي وهدوء، لإنقاذ المشهد العام من براثن الغوغائية والابتذال.

ختاما:

إن إنقاذ العراق من هذا المنحدر السحيق, وتطهير وعيه الجمعي من أدران البذاءة والتعصب, لا يتحقق بالأماني المؤجلة، بل يتطلب انتفاضة شاملة تبدأ من صرامة القانون وحزم الدولة لتطال كل عابث، وتمر عبر ثورة تعليمية تقتلع جذور التلقين الأعمى.
وتستلزم موقفاً أخلاقياً حاسماً من النخب لتقويم البوصلة وضبط الخطاب العام؛ فوطن بلا حوار هو وطن بلا مستقبل.

وإن استعادة هيبة الكلمة واحترام الإنسان هما الممر الإجباري الوحيد لإخراج المجتمع من سراديب الخوف والجهل نحو فضاءات الدولة المدنية العادلة والآمنة.

** غرس مفاهيم آداب الحوار وإنقاذ المجتمع من التعصب والبذاءة يتطلب استراتيجية وطنية شاملة تشترك فيها الأسرة، التعليم، الإعلام، والمؤسسات الدينية والثقافية. ص.ص

قراءات

» شفرة البقاء الحضاري« ديالكتيك الانتخاب الثقافي وبايولوجيا

(2)

أ.د. محمد الربيعي

رابعا: الديالكتيك الهيغلي كمحرك مكسور وصراع الترجمة العصبية

يعمل الديالكتيك (الاطروحة ونقيضها ثم التركيب) في الفلسفة التاريخية كالمحرك التطوري الذي يدفع الحضارات نحو الامام. في المنظور الغربي، الصراع الديالكتيكي ليس "معركة فناء" بيولوجية، بل هو "عملية تنقيح ميمية"، فكل نظام يولد نقيضه، ومن اصطدامهما يولد "تركيب (Synthesis) " ارقى واكثر تعقيدا وقدرة على حل المشكلات.

* **في الغرب:** الديالكتيك كآلية ارتقاء تاريخيا، نجد هذا بوضوح في تطور الدولة الاوروبية، حيث ادى الصراع المرير بين "اطروحة الملكية المطلقة" و"نقيضها البرجوازي التحرري" الى انتاج "تركيب الديمقراطية الدستورية". هذا التفاعل يمنع الجمود الوظيفي ويضمن تحديث "البرمجيات السياسية" باستمرار عبر عملية انتخاب طبيعي للافكار. النظام الغربي هنا يشبه الكائن الحي الذي يمتلك "جهازا عصبيا مرنا" يسمح بدمج المتناقضات لتحقيق استقرار ديناميكي جديد.

* **في الفضاء العربي:** سحق النقيض والشلل التطوري اما في الفضاء العربي، فقد تعطل هذا المحرك بشكل بنيوي ومزمن. فبدلا من التفاعل مع "النقيض" (سواء كان معارضة سياسية، فكرا تنويريا، او حتى قيم الحداثة الوافدة)، تلجا الانظمة السياسية والاجتماعية الى "سحق النقيض "بيولوجيا واقصائه ميميا. هذا السحق يمنع ولادة اي "تركيب" جديد، مما يبقي المجتمع العربي في حالة "اطروحة ابدية" متصلبة (Stagnant Thesis) ترفض التطور. تاريخيا، راينا كيف تم سحق حركات النهضة والاصلاح في مهدها، مما ادى الى غياب الوسطية السياسية ونشوء صراعات صفرية بدلا من التدافع الخلاق. ان تعطيل الديالكتيك هو في جوهره "انتحار حضاري مبرمج" يحرم المجتمع من اهم ادوات التكيف مع الزمن.

* **صراع الترجمة العصبية والفجوة الميمية** هنا يبرز بُعد اكثر عمقا وهو **"التشابكات العصبية الجمعية"**. فعندما ينتقل ميم سياسي غربي (كالديمقراطية او العلمانية) نحو الشرق، فانه لا يُنسخ كملف رقمي نظيف، بل يصطدم بـ "بنية تحتية عصبية" تشكلت عبر الاف السنين من القيم الروحية، والولاءات القبلية، والتراتبية الابوية. هذا التصادم يؤدي الى ما اسميه **"الترجمة العصبية المتباينة"**، فما يراه العقل الغربي (المبرمج على الفردانية) كـ "تحرر واستقلال"، تترجمه التشابكات العصبية في الشرق (المبرمجة على اللحمة الجمعية) كـ "تفكك بنيوي" وتهديد للوجود الحيوي للمجتمع.

الصراع العربي-الغربي، اذن، ليس مجرد خلاف على الحدود او الموارد، بل هو صراع بين **"خوارزميتين ذهنيتين** "مختلفتين تماما. العقل العربي يعيد تفسير الواقع بناءً على "توصيلات عصبية" تقدس الثبات والاصالة، بينما العقل الغربي يندفع خلف خوارزمية التجاوز والتغيير. هذا التباين البيولوجي-الثقافي يجعل الحوار الدبلوماسي والسياسي مجرد "ضجيج لغوي (Linguistic Noise) " يطفو فوق فجوة عميقة من عدم الفهم المتبادل. اننا امام "نظم تشغيل (Operating Systems) " غير متوافقة، فالديمقراطية حين تُحقن في "نظام تشغيل قبلي"، تتحول الى "ديمقراطية مكونات" او "محاصصة طائفية" (كما راينا في تجارب العراق ولبنان)، وهي ترجمة مشوهة تخدم "بايولوجيا الاستعصاء" بدلا من ان تكون محركا للتغيير.

خامسا: التمثيل الغذائي للدولة واليات "الاستتباب" (بين المحاصصة والدكتاتورية)

اذا نظرنا الى الدولة ككائن حي معقد (Superorganism)، فان الاقتصاد والوزارات والدوائر الخدمية تمثل "التمثيل الغذائي(Metabolism) "، تلك العملية الحيوية التي تقوم بتحويل الموارد الخام والجهد البشري الى طاقة تضمن نمو الخلايا وتجدد الانسجة وحماية الجسد الكلي من الفناء. هنا يكمن الفارق الجوهري في "كيمياء السلطة" بين الغرب والواقع العربي.

* في الغرب: التمثيل الغذائي لنمو الجسد الكلي فـــي النظم الغربية الناجحة، صُممت خوارزمية التمثيل الغذائي لخدمة "الجسد الكلي" للدولة (الاقتصاد الوطني). الضرائب والاستثمارات والناتج المحلي الاجمالي تعمل كدورة دموية متكاملة تغذي "الاطراف" (المواطنين) و"المركز" (المؤسسات) بشكل متوازن. هذا النظام يدرك بيولوجيا ان مرض العضو الصغير يهدد حياة الكائن الكبير، لذا تعمل القوانين كـ "انزيمات" تسرع تحويل الموارد الى "نمو حقيقي" يرفع القدرة التنافسية للدولة في بيئة الانتخاب الطبيعي الدولي.

* في الواقع العربي: طفيلية التغذية وفخ "الاستتباب "اما في الواقع العربي، فقد انحرف التمثيل الغذائي عن مساره الطبيعي ليتحول الى نظام تغذية انتقائي يخدم "النواة الحاكمة" او "خلايا القوة" فقط، وهو ما يتجلى في نمطين بيولوجيين:

1 ـ نمط المحاصصة (الاستتباب التعددي الطفيلي) :كما في العراق ولبنان، حيث يتحول التمثيل الغذائي الى عملية "امتصاص طفيلي" موزعة بين احزاب وطوائف تتصارع على "كعكة الموارد". هنا تعمل المحاصصة كآلية "استتباب حيوي (Homeostasis) " ضرورية للحفاظ على توازن هش يمنع انهيار النظام الحزبي الاناني، لكنه يؤدي لضمور الجسد الوطني.

2 ـ نمط الدكتاتورية (الاستتباب المركزي الاستبدادي) :وهو النمط السائد في اغلب الدول العربية، حيث تسيطر "خلية مركزية واحدة" (الحاكم الفرد او النخبة الضيقة) على قنوات التمثيل الغذائي بالكامل. في هذا النموذج، تُسخّر طاقة الدولة بالكامل لنمو "الراس" وحمايته، بينما تُترك بقية "الاعضاء" (الشعب والمؤسسات) في حالة هزيلة. الاستتباب هنا يُحفظ عبر "القمع الحيوي" لكل من يحاول استهلاك طاقة النظام خارج ارادة المركز.

* خيار "السكون (Dormancy) " واستراتيجية البقاء في كلا النموذجين، يبرز مفهوم "الاستتباب الحيوي"، وهو ميل الكائن للحفاظ على استقراره الداخلي ضد التغيير. اي محاولة للاصلاح او "تطهير" التمثيل

---

* بروفسور متمرس ومستشار تربوي، جامعة دبلن

تتمة ص التالية

الغذائي من الفساد تُعامل من قبل "خلايا السلطة" (سواء كانت احزابا او حاشية دكتاتور) كـ "فيروس "يهدد امن الكائن الحاكم، فتقوم "المناعة السلطوية" باستنفار ادواتها القمعية لطرده.

نتيجة لهذا الاستعصاء، يفضل النظام العربي (بنوعيه) حالة "السكون" او "البيات الشتوي"، وهي استراتيجية بيولوجية لتقليل استهلاك الطاقة وتجنب مخاطر التطور والتحول. تكتفي الانظمة بتقديم "الحد الادنى" من الغذاء الخدمي لابقاء المجتمع على حافة البقاء، دون الوصول لمرحلة "الازدهار" التي قد تؤدي لوعي سياسي يفكك خوارزمية السيطرة (سواء كانت محاصصة او حكما فرديا).

* التداعيات التاريخية لبايولوجيا الاستعصاء تاريخيا، ادى هذا "التمثيل الغذائي المشوه" الى تضخم هائل في "الانسجة الطفيلية " (البيروقراطية الولائية او الاجهزة الامنية لحماية الحاكم او المحاصصة الحزبية) مقابل ضمور في "الانسجة الحيوية "(الصناعة والبحث العلمي والتعليم). ان هذا الانحباس داخل الية "الاستتباب الانانية" يجعل الكائن الوطني العربي عاجزا عن الحركة في الساحة الدولية، مكتفيا بتدوير الفشل الداخلي لضمان بقاء "النواة الحاكمة" حية، حتى لو كان الثمن هو "الموت السريري" للدولة ككيان حضاري فاعل.

سادسا: الاستثمار الابوي الجيوسياسي وحرب "المصدات الخوارزمية"

في البيولوجيا التطورية، تُعد استراتيجية **"الاستثمار الابوي (Parental Investment)** " من اكثر العمليات تكلفة وحسمًا، حيث يضحي الكائن الحي بجزء كبير من موارده وطاقته ووقت بقائه الشخصي لحماية "الابناء" الذين يحملون شفرته الجينية. الهدف البيولوجي ليس رفاهية الابن بحد ذاته، بل ضمان امتداد "الجينوم" في المستقبل. في الساحة الجيوسياسية، يتجلى هذا المبدا بوضوح في "حروب الوكالة (Proxy Wars)" ، حيث تعيد القوى الكبرى انتاج هذه الاستراتيجية لضمان بقائها السيادي.

* **الخوارزمية الدفاعية: الوكيل كـ "جهاز مناعي" خارجي** تستثمر القوى الكبرى(سواء كانت غربية او اقليمية مهيمنة) في اطراف خارجية وتحولها الى **"مصدات خوارزمية ."** هذه الاطراف (الدول الوكيلة او الميليشيات) تعمل بيولوجيا كـ "اجهزة مناعية" متقدمة او "خلايا تضحية (Sacrificial cells) " تُوضع في الخطوط الامامية لتلقي الصدمات وتشتيت الهجمات عن "الجسد المركزي" للنظام السيادي الام. تاريخيا، كانت هذه الاستراتيجية واضحة في صراعات الحرب الباردة، حيث كانت الاراضي العربية والافريقية والاسيوية "مختبرات حيوية" لتجربة الاسلحة والايديولوجيات، بينما ظل "النخاع الشوكي" للقطبين (واشنطن وموسكو) في امان تام بعيدا عن النزيف المباشر. وفي المشهد المعاصر، تبرز الولايات المتحدة كمصمم الهيكلية الأبرز لهذا النظام، حيث تُموضع حلفاءها ووكلاءها كـ 'بروتوكولات حماية' نشطة، تضمن بقاء التهديدات الحيوية والاضطرابات الجيوسياسية في حالة 'حجر صحي' بعيداً عن القارة الأمريكية، مما يسمح للمركز بالتحكم في التوازنات العالمية عبر 'التحكم عن بُعد' دون الاضطرار لاستنزاف أنسجته السيادية في مواجهات مباشرة.

* **الماساة العربية: من "الكائن السيادي" الى "الخلية الطرفية "** تكمن المعضلة الكبرى في الواقع العربي المعاصر في تحول العديد من دول المنطقة من "كائنات سيادية" تمتلك قرارها الحيوي، الى **"خلايا طرفية "** (Peripheral cells) في اجساد امبراطورية غريبة. في هذا الوضع، يتم برمجة "الخوارزمية الوطنية" لهذه الدول لتعمل كـ "خادم" لضمان سلامة "الجينوم الاكبر" للقوى المهيمنة .تاريخيا، رأينا كيف تُستنزف الموارد العربية (النفط، الموقع الجغرافي، الكثافة البشرية) لا لبناء "تمثيل غذائي" وطني قوي، بل لتعزيز "المصدات" التي تحمي مصالح الاخرين. هذا النوع من العلاقة البيولوجية يسمى **"التطفل الاجباري"**، حيث يعتمد الكائن المحلي (الدولة الوكيلة) في بقائه المالي او العسكري على "العائل (Host) " الخارجي.

* **ارتهان الجينوم السياسي وفقدان "الارادة التطورية** "هذا الاستثمار الابوي الخارجي يجعل القرار العربي "مرهونا خوارزميا" بتوافق الجينومات الكبرى خارج الحدود.

بيولوجيا، لا يمكن لهذه "الخلايا الطرفية" ان تتخذ قرارا مصيريا (مثل اجراء طفرة تنموية مستقلة او تغيير التحالفات) يتصادم مع ارادة "العائل" الذي يوفر لها الحماية الامنية او "المصل الحزبي" للبقاء .ان النتيجة الحتمية لهذا الارتهان هي **"العقم التطوري"** للدولة العربية، فهي تظل في حالة "استعصاء" تمنعها من تطوير جهازها المناعي الخاص، وتجعلها في حالة تاهب دائم لحروب ليست حروبها، وصراعات لا تخدم "شفرتها الوراثية الوطنية". ان كسر هذه التبعية يتطلب "انفصالا بيولوجيا" مؤلما، يبدا من استعادة السيطرة على "التمثيل الغذائي الوطني" وبناء مصدات ذاتية تنبع من المصالح المشتركة للمجتمع، لا من "خوارزميات الافتراس" الدولية التي لا ترى في المنطقة سوى "مساحة حيوية" للتضحية.

سابعا: البحث عن الحصانة.. "الجين النووي" وهندسة المستقبل

في الطبيعة، تتصارع الكائنات الحية والجينات على الموارد المحدودة (الغذاء، المساحة، الطاقة) لضمان الاستمرار. وفي الغابة الجيوسياسية، لا يختلف الامر، فالانظمة السياسية تتصارع على "المواد الاولية" والاسواق والنفوذ. وفي قلب هذا الصراع، يبرز السعي نحو "التكنولوجيا النووية" والسيادة التقنية الفائقة كأهم **"طفرة وراثية** (Genetic Mutation) "منشودة في تاريخ الامم الحديث.

الحصانة النووية: كسر "قانون الافتراس "
امتلاك القدرة النووية او السيادة التقنية العميقة يمثل في "البيولوجيا السياسية" امتلاك **"حصانة مطلقة ضد الافتراس".**
في عالم الحيوان، تمتلك بعض الكائنات اليات دفاعية (مثل السموم القاتلة او الدروع الحصينة) تجعل افتراسها مغامرة انتحارية للمفترس، وبالمثل، فان "الجين النووي" يمنح الدولة "درعا حيويا" يخرجها من دائرة الكائنات التي يمكن استئصالها او تغيير نظامها الحيوي بالقوة الغاشمة. انها "طفرة" تنقل الدولة من مرتبة "الفريسة المحتملة" الى مرتبة "الكائن المحصن" الذي يمتلك حق الفيتو الوجودي.

يتبع العدد القادم

مراجعات

بغضُ مِنْ ذكرى ٣ آب (أغسطس) ٢٠٢٦

حيدر حسين سويري

أكتبُ هذه السطورَ والقلبُ يَنزُّ دَمًا، وثِقْلُ اثني عشرَ عامًا يركدُ فوقَ صدري كجبلِ «شنگال» الأشمّ الذي شهدَ مأساتَنا. أكتبُ في الذكرى السنويةِ الثانيةِ عشرةَ لتلكَ الفاجعةِ، اليومِ الذي حُفرَ في أجسادِنا وأرواحِنا بالنارِ والحديدِ. اثنا عشرَ عاماً مَرَّتْ على الإبادةِ الجماعيةِ الأيزيديةِ، الجريمةِ التي حَمَلَتِ الرقمَ ٧٤ في سجلِّ تاريخِنا المَظلومِ المَخضوبِ بالدماءِ.

كنتُ حينَها طفلاً لا يملكُ من أمرِ الحياةِ شيئاً، أتذكرُ كيفَ كُنّا نلتبسُ الخوفَ غطاءً، ننبسُ بالبكاءِ وننكبُّ على أقدامِ آبائِنا وأعمامِنا، نتوسّلُ إليهِم بدموعِ البراءةِ ألا يذهبوا، ألا يحملوا تلكَ الأسلحةَ التقليديةَ البسيطةَ ليمضوا إلى خطوطِ المواجهةِ. لم يُجدِ بكاؤُنا نفعاً، إذ لم يكنْ أمامَ رجالِنا البواسلِ خيارٌ آخرُ؛ لقد تخلّتْ عنّا القواتُ الأمنيةُ والمؤسساتُ الحاكمةُ للمنطقةِ آنذاك، سلّمَتنا للدواعشِ على طبقٍ من ذهبٍ، وفرّتْ هاربةً قبلَ أن نلمحَ غبارَ انسحابِها. حَامَ الموتُ حولَنا، فما كانَ من رجالِنا إلا أن ارتقوا ببطولتِهم إلى مَصافِّ الأسطورةِ، صَدّوا بأسلحتِهم الخاصةِ وبصدورِهم العاريةِ أقوى هجومٍ شهدَتْهُ محافظةُ نينوى، دفاعاً عنِ الشرفِ والنّاموسِ والأرضِ.

آهٍ يا «شنگال».. كيفَ أستحضرُ تلكَ الليلةَ التي سبقتِ الطوفانَ؟ ولو نسيتُ اسمي، لن أنسى مساءَ يومِ العيدِ. كنّا نُطرقُ أبوابَ جيرانِنا مِمّنْ هم ليسوا أيزيديينَ، نُقاسمُهُم الفرحةَ، نُهديهِم خبزَ العيدِ وحلوياتِهِ بكلِّ مَحبّةٍ وحُسنِ نيّةٍ. لم نكُنْ نعلمُ أنّهُ بعدَ العيدِ بيومٍ واحدٍ فقط، ستتحوّلُ تلكَ الأيادي التي امتدّتْ لتأخذَ حلوانا إلى زنادٍ يُطلقُ النارَ علينا! قبلَ أن تصلَ فلولُ الدواعشِ إلى قُرانَا، كانَ أولئكَ الذينَ عشنا معَهُم عشراتِ السنينِ ـ مَن كنّا نسمّيهِم إخوتَنا في الإنسانيةِ والوطنِ وشُركاءَنا في الأرضِ ـ قد شَهَروا أسلحتَهُم في وجوهِنا، وقَطَعوا علينا مَمَرّاتِ النجاةِ. كانَ هناكَ جواسيسُ وأتباعٌ بينَ أظهرِنا. لولا الغدرُ الداخليُّ، لَما سقطتْ سنجارُ أبداً. وحينَ دخلَ أوباشُ «داعش»، كانوا يقفزونَ فرحاً، يلوّثونَ الهواءَ بصيحاتِهِم، ويُصوّرونَ مَشاهدَ ذبحِنا ونشرِها للعالَمِ، كأنّما يُنجِزونَ غزوًا في القرونِ الوسطى!

كيفَ نَثِقُ بالبشريةِ مجدداً؟ كيفَ نَستأمنُ إنساناً بعدما رأينا كيف يُقتلُ آلافُ الرجالِ والنساءِ لمجرّدِ أنّهُم لم يعتنقوا دينَهُم؟ أتَوْا لِمَحوِ الدينِ الأيزيديّ، لا يجاملُ في هذهِ الحقيقةِ اثنانِ، فالذينَ لم يكونوا أيزيديينَ انضمّوا إليهِم وسَلِموا من سياطِهِم. قتلونا باسمِ إيمانِهِم، ونحنُ الذينَ لم نَضُرَّ نملةً بكُفرِنا المَزعومِ في أعينِهِم.. نحنُ الأيزيديينَ، أول بني آدمَ مِمَّنْ آمنوا بوحدةِ اللهِ وجَلالِهِ. رفَعوا رايةَ "اللهُ أكبر" لِيَسفكوا دَماً زكياً، وخَيّرونا بينَ الإسلامِ أو السيفِ، وكأنّنا في أعماقِ الجاهليةِ. والمُفارقةُ الفاجعةُ أنهم ببطشِهِم هذا لن يَنالوا جنةً ولا خَمراً، لأنّ العدالةَ الإلهيةَ أسمى من أن تُكافِئَ القَتَلَةَ والمُجرمينَ.

في طريقِ الفرارِ نحو الجبلِ، تكسّرتْ الأرواحُ على صخورِ القسوةِ. قَطَعَ العدوُّ ينابيعَ الماءِ من شمالِ الجبلِ وجنوبِهِ، فَماتَ المئاتُ عطشاً تحتَ هجيرِ الشمسِ. ولا تزالُ صورُ الفارينَ تُمزّقُ ذاكرتي.. أذكرُ ذلكَ الأبَ الفاجعَ، الذي حملَ ابنتَهُ بينَ يديهِ، وقَطَعَ بها مئاتِ الأمتارِ صاعداً الجبلَ، يركضُ بنَفَسٍ مَقطوعٍ وأملٍ واهنٍ لِيُنقِذَها، وهو لا يعلمُ أن الصغيرةَ قد سَكَتَ نبضُها، وأنّها ماتتْ بينَ أحضانِهِ عطشاً قبلَ أن يقطعَ نِصفَ الطريقِ! وظلّ يحملُ جُثّتَها المَيّتَةَ ظناً أنّهُ يُسابقُ الزمنَ لنجاتِها. وحينَ استقرّ بِهِ المَطافُ لاحقاً في مخيمِ «بيرسفي» للنازحينَ، لم تحتملْ روحُهُ لوعةَ الفقدِ، فماتَ اشتياقاً وأسىً (زكوربا) لِطفلتِهِ.

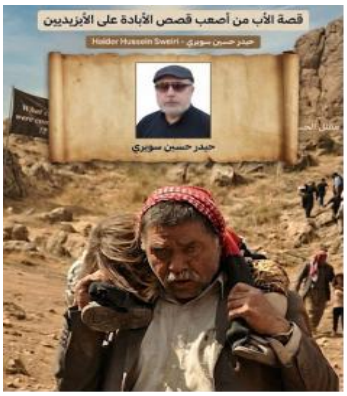

وأيُّ خيارٍ ذاكَ الذي وُضِعَ فيهِ والدُ الطفلَةِ «يوفا»؟ حينَ كانتِ السيارةُ تُسرعُ بجنونٍ وتَهتزُّ على الطريقِ الترابيّ لِتنجوَ بالعائلةِ كُلِّها من سياطِ الدواعشِ الملاحِقينَ لَهُم، فصَدَمَتِ السيارةُ حفرةً جامحةً («بطسة»)، لِتطيرَ الصبيّةُ الصغيرةُ «يوفا» من الصندوقِ الخلفيّ وتَبتلِعَها الأتربةُ. تَرَدَّدَ صدى الخيارِ المريرِ في نفسِ الأبِ في كسرٍ من الثانيةِ: هل يرجعُ لإنقاذِ طفلتِهِ، فيُسلِّمَ عائلَتَهُ بأكملِها لذبحِ الدواعشِ ودهسِ سياراتِهِم؟ أم يُمضي قُدُماً ويتركُ قِطعةً من كَبِدِهِ تُسحقُ تحتَ عجلاتِ العدوّ؟ خيارٌ تَتَقَطَّعُ لَهُ الرواسي.. اختارَ أن يَسْلَمَ الباقونَ، وتَرَكَ «يوفا» لِقدرِها المحتومِ!

تِلْكَ قَصَصٌ تُشيبُ لها ولدانُ التاريخِ، وما خَفِيَ كانَ أعظمَ وأمرّ. لا أريدُ أن أستفيضَ في ذكرِ الصغيراتِ اللائي لم تَتَجاوزْ أعمارُهُنَّ ستَّ سنواتٍ، كيفَ سُبِينَ واغتُصِبنَ بدمٍ باردٍ. ولن أتحدثَ عن «داي پيري»، تلكَ الشيخَةِ طاعنةِ السنِّ التي كانتْ تعيشُ بمفردِها في بيتٍ طينيّ ذي غرفةٍ واحدةٍ، حينَ اقتحموا عليها عُزلَتَها وأحرقوها حيّةً داخلَ جدرانِها. ولن أتحدثَ عن فتيّاتِنا اللواتي بُعْنَ كبضاعةٍ رخيصةٍ بمبالغَ زاهدةٍ عبرَ تطبيقِ «تليغرام» البعيدِ عن الرقابةِ، أو استُبِدِلْنَ بأحذيةٍ من ماركاتٍ عالميةٍ في أسواقِ النّخاسةِ ومحاكِمِهِم الشيطانيةِ، ناهيكَ عن اللواتي قُتِلْنَ لمجرّدِ أنّهُنَّ لَمْ يَكُنَّ "جميلاتٍ كفايةً" في أعينِ أولئكَ السَفَلَةِ لِيَبقَيْنَ على قيدِ الحياةِ!

اليومَ، وبعدَ مرورِ اثني عشرَ عاماً، أتطلعُ حولي فلا أرى إلا الخُذلانَ يتجدّدُ. لا يزالُ الآلافُ من أبناءِ جِلدَتِنا مفقودينَ لا يُعرَفُ لَهُم أثرٌ، وعشراتُ الآلافِ يَتجرّعونَ مرارةَ الحياةِ في مخيماتِ النازحينَ في إقليمِ كردستانَ. البيوتُ في سنجار ما زالتْ أنقاضاً ركاماً إثرَ التفجيراتِ، ورفاتُ شوطٍ طويلٍ من المقابرِ الجماعيةِ لم تُحلَّلْ فُحوصاتُها الدقيقةُ بعدُ، لِتظلَّ العوائلُ مَحرومةً حتى من ضمِّ

تتمة ص التالية

النظرة الدونية من الشراكوة في العراق.. مواطنون ارتبط تراثهم القيمي بواقع المجتمع

مصطلح "الشراكوة" أو "الشروك" في العراق يشير دلالياً واجتماعياً إلى أبناء المحافظات الجنوبية والشرقية، وغالباً ما استُخدم تاريخياً كلفظة أطلقتها بعض المركزيات الحضرية بقصد الانتقاص من المهاجرين الفقراء الذين سكنوا العشوائيات والأكواخ على أطراف بغداد، متجاهلين ارتباط تراثهم القيم العريق بأصول حضارة وادي الرافدين.

تعد هجرة الفلاحين العراقيين (الشراكوة - وهم الفلاحون المرتبطون بنظام المشاركة الزراعية "السركال" في الجنوب) من الريف إلى المدن، وتحديداً بغداد، ظاهرة اجتماعية واقتصادية وسياسية معقدة بدأت بوضوح منذ الأربعينيات واستمرت بأشكال مختلفة حتى يومنا هذا، وتعد مدينة العمارة مصدراً رئيسياً لهذه الهجرات.

1 ـ الهجرة قبل ثورة 14 تموز 1958 (العهد الملكي) الأسباب:

ـ الظلم المفرط الذي مارسه شيوخ الإقطاع (نظام الإقطاع) في الريف على الفلاحين، وحرمانهم من أجورهم العادلة، وسوء المعيشة (الجهل والفقر والمرض).

ـ الهروب من "زلم الشيوخ": اشتدت الهجرة بين 1947 و 1957، حيث رصدت التقارير هجرة عوائل كاملة ليلاً هرباً من "زلم الشيوخ" (أعوان الإقطاعيين).

حجم الهجرة: قُدرت هجرة حوالي 330,000 فرد من الأرياف إلى مراكز العديد المدن بين 1947-1957، فيما انتقل 159,000 إلى بغداد وحدها.

السكن: تشكلت تجمعات سكنية فقيرة عُرفت بـ "الصرائف" (أكواخ من القصب والبردي) في أطراف بغداد، خاصة في مناطق أصبحت لاحقاً مدينة الصدر والشعلة، واصفاً إياها بـ "عمرنة بغداد".

2 ـ الهجرة بعد ثورة 14 تموز 1958 وما بعدها:

تغير الديناميكية: ألغت الثورة نظام الإقطاع وحاولت توزيع الأراضي، لكن الفوضى وانخفاض الدعم الزراعي أدى إلى انهيار الإنتاج لاحقاً، مما استمر بدفع الفلاحين نحو المدينة بحثاً عن فرص عمل في الخدمات أو الجيش والشرطة.

تحول "الصرائف" إلى مدن:

مع مرور الوقت، تحولت تجمعات الصرائف العشوائية إلى أحياء سكنية، وبدأت الحكومات في الستينيات والسبعينيات بتهيئة بعض الخدمات فيها، خاصة مع تزايد أعداد السكان والاحتياج لليد العاملة. حقبة السبعينيات والثمانينيات.

استمرت الهجرة نتيجة للتصنيع وجذب المدن لليد العاملة، بالإضافة إلى الهجرات القسرية بسبب الحروب (الحرب العراقية الإيرانية).

3. ـ الهجرة من التسعينيات ولغاية اليوم:

حروب وحصار: أدت الحروب المتتالية والحصار الاقتصادي (التسعينيات) إلى انهيار شامل في خدمات الريف والزراعة، مما زاد الهجرة بحثاً عن فرص البقاء في المدينة.

ما بعد 2003: شهدت البلاد موجات هجرة كبيرة نتيجة للاحتلال الأمريكي، وتدهور الوضع الأمني، والجفاف الشديد (خاصة في الجنوب)، مما دفع الكثيرين لترك الزراعة.

الوضع الحالي (2024-2026): ما زالت الهجرة مستمرة نتيجة "عدم اهتمام الحكومات بالريف" مقارنة بالمدينة، والجفاف الذي ضرب مناطق واسعة، والتوجه نحو العمل في القطاع العام أو الخدمات في المدن الكبيرة.

خلاصة:

هجرة الفلاحين من الريف للمدن في العراق لم تكن مجرد انتقال سكاني، بل كانت "ترييفاً للمدينة" وإعادة تشكيل ديموغرافية واجتماعية ، حيث تحول الفلاحون من عمال زراعيين تحت رحمة شيوخ الإقطاع إلى سكان أطراف المدن يمارسون المهن الحرة أو يندمجون في مؤسسات الدولة.

** يمثل أبناء الجنوب والوسط امتدادا حيا لإرث حضاري عميق يعود للجذور السومرية والأكدية والرافدية الأولى.

بغضُ مِنْ ذكرى ٣ آب (أغسطس) ٢٠٢٦

عظامِ شهدائِها والتأكّدِ من هويّاتِهم. فأينَ الحكومةُ الاتّحاديةُ الفدراليةُ؟ وأينَ حكومةُ الإقليمِ من هذهِ الفاجعةِ المستمرةِ؟ أينَ المنظماتُ الدوليةُ، والجمعياتُ المدنيةُ، ومحاكمُ العدلِ الدوليةُ، ومؤسساتُ العدالةِ الانتقاليةِ وحقوقِ الإنسانِ؟ فوقَ كلِّ هذا النزيفِ، لم تعترفِ الحكومةُ العراقيةُ حتى اللحظةِ بشكلٍ رسميٍّ كاملٍ بكونِ ما جرى لنا هو "إبادة جماعية"!

إنّني أوجّهُ نداءي هذا إلى كلِّ مَنْ تَنبِضُ في صدرِهِ قَطرةٌ من إنسانيةٍ، إلى كُلِّ مَنْ يَحترمُ أرواحَ شهدائِنا وتضحياتِهِم العظيمةَ من أجلِ هذا الوطنِ، وإلى كُلِّ مَنْ يَحزنُ لِحُزنِنا في ذكرى إبادتِنا: شارِكوا هذهِ المأساةَ، اصرخوا بها في وجهِ العالمِ! لقد وصَلَتْ للعالَمِ صورةٌ مُحرَّفةٌ ومَغلوطةٌ عنّا؛ إذ تُشيرُ الاستبياناتُ إلى أنّ ٨٠٪ من الشعبِ العراقيِّ لا يَعرفونَ حقيقةَ ما مَرَّ بِهِ إخوانُهُم الأيزيديونَ من أهوالٍ ومجازرَ.

لكنّني أُعاهِدُكُم، وأُعاهِدُ أرواحَ شهدائِنا: إنّ أبناءَ أولئكَ الرجالِ الأبطالِ سيكونونَ أبطالاً على خُطا آبائِهِم. لن نَنكسرَ، ولن نندثرَ. سَنُضيءُ رغمَ الركامِ، كما تُضيءُ النجومُ اللامعةُ في عتمةِ الليلِ وسكونِهِ.. نوراً سَنُضيءُ أو ناراً، يومَ تشرقُ الحقيقةُ! فنحنُ قَوْمٌ وُلِدنا من رَحِمِ المعاناةِ، وتَعَمَّدنا بالرمادِ، وخَرَجنا من رُكامِ ٧٤ إبادةً جماعيةً لِنَصنَعَ آمالَنا بأيدينا الصلبةِ.

رَحِمَ اللهُ شهدائَنا الأبرارَ، وأسكنَهُم فسيحَ جنّاتِهِ. لن ننسى ما حَلَّ بنا، فالنسيانُ خيانةٌ كبرى بحقِّ أولئكَ الذينَ قدّموا أجسادَهُم جُسوراً لِنَحيَا نحنُ.

ـ إيهاب حيدر

ابنُ تلكَ المدينةِ المنسيةِ، ابنُ «شنگال» الجريحةِ التي ما زالتْ تَنزِفُ دَماً مع كلِّ دمعةٍ تسقطُ من عينِ أُمٍّ أيزيديةٍ على ولدِها الشهيد.

تعرض الإيزيديون في قضاء شنكال (سنجار) لإبادة جماعية وانتهاكات مروعة في 3 آب/أغسطس 2014 على يد تنظيم داعش، أسفرت عن قتل الآلاف، خطف وسبي أكثر من 6 آلاف شخص أغلبهم نساء وأطفال، تهجير مئات الآلاف، وحصار الناجين على جبل سنجار في ظروف إنسانية قاسية.

ص.ص

آراء حرة

إيران والحرب الهجينة بالعراق (1)

زكي رضا

لم تعد الصراعات التي يشهدها العالم اليوم تُخاض بالوسائل العسكرية التقليدية كما في السابق لوحدها، بل أصبحت تعتمد على مجموعة واسعة من الأدوات السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والأمنية والفضاء الالكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي، وتمتد أحيانا إلى المجال الديني. فالدول لم تعد بحاجة دائما إلى احتلال بلد ما لتحقيق مصالحها، بل بسعيها وعملها على بناء وترسيخ نفوذها من خلال التأثير في مؤسسات الدولة والمجتمع في البلد الذي يراد الهيمنة على قراره السياسي، كبوابة للهيمنة على مقدراته. وهذا ما يندرج ضمن مفهوم الحرب الهجينة، أي استخدام مزيج من الوسائل المختلفة لتحقيق أهداف استراتيجية بعيدة المدى.

الا ان الحرب الهجينة لا تنجح لأن الطرف الخارجي أقوى من الطرف الداخلي فقط، كون القوى الخارجية مهما امتلكت من ثقل وقدرات وإمكانيات لا تستطيع بناء نفوذ كبير ودائم داخل دولة تمتلك مؤسسات قوية، وهوية وطنية ونظام سياسي قادرعلى احتكار القرار الوطني. وعليه فأن الحرب الهجينة تحتاج إلى بيئة داخلية تسمح لها بالعمل داخل الدولة المعنية. فضعف مؤسسات الدولة، والانقسامات السياسية والطائفية والقومية وانتشار الفساد وتعدد مراكز القوة، هي بمجموعها عوامل تساعد القوى الخارجية على بناء نفوذها وتحويله تدريجيا إلى جزء من البنية السياسية والاجتماعية لتلك الدولة، وإعادة تشكيل بيئتها الداخلية بما يخدم مصالحها.

وعليه فإن طبيعة النفوذ الإيراني في العراق وهو موضوع المقالة، لا يمكن أن تناولها كنظرة سياسية لعلاقة بين دولتين أو اختزالها في تأثيرات العامل الخارجي فقط، بل يجب النظر إليها بوصفها حالة تتداخل فيها أدوات الحرب الهجينة، مع ظروف داخلية ساعدت على تمدد هذا النفوذ وترسيخه.

في العراق الذي هو ساحة لتدخلات بلدان عدة إقليمية ودولية، فأن فهم طبيعة النفوذ الإيراني بالبلاد لا يجب النظر الى مساحته وتأثيره بعد الأحتلال الأمريكي في التاسع من نيسان 2003 فقط، بل بالعودة للثورة الأيرانية سنة 1979 وتغيير النظام الشاهنشاهي الى نظام اسلامي زلزل الأوضاع الجيوسياسية في المنطقة، وظهور قوى اسلامية بدأت محاولة تكرار التجربة الأيرانية، ليس في العراق فقط بل وفي بلدان عربية وأسلامية مختلفة. وقد بدأت إيران بعد اندلاع الحرب العراقية الأيرانية على تحقيق أستثمار أستراتيجي طويل الأمد في بناءها تنظيمات أسلامية سياسية وعسكرية معارضة لنظام البعث، علاوة على رعايتها لتلك التي كانت قد تأسست قبل نجاح الثورة الايرانية.

يعتبر العام 2003 نقطة التحول الكبرى في تاريخ العراق الحديث، ليس بسبب سقوط النظام البعثي فقط، بل بسبب انهيار مؤسسات الدولة وإعادة بناء النظام السياسي على أسس جديدة، سيظهر لاحقا مدى ضررها على أوضاع بلدنا بشكل عام. أن حل الجيش العراقي والأجهزة الأمنية وضعف عملية بناء مؤسسات الدولة، تسببت في خلق فراغ سياسي وأمني كبير، استغلته قوى داخلية وخارجية متعددة. كما أدى نظام المحاصصة الطائفية والقومية الذي تأسس بعد الاحتلال الأمريكي إلى تكريس الانتماءات الفرعية على حساب مفهوم المواطنة، كما الى ظهور قوى سياسية لها امتدادات خارجية أو فصائل مسلحة أو مصادر قوة مستقلة عن مؤسسات الدولة.

إن النفوذ الخارجي لا ينشأ فقط من قوة الطرف الخارجي، بل يحتاج إلى بيئة داخلية تسمح له بالتمدد والهيمنة . فالدولة الضعيفة التي تعاني من تعدد مراكز القرار، وغياب المؤسسات القادرة على فرض القانون والنظام، تصبح أكثر قابلية في أن تتحول إلى ساحة تنافس بين المشاريع الإقليمية والدولية. ولهذا فإن فهم النفوذ الإيراني في العراق لا يبدأ من إيران فقط، بل يبدأ كذلك من طبيعة تشكيل الدولة العراقية بعد عام 2003، ومن الظروف السياسية والاجتماعية التي جعلت بناء النفوذ الخارجي ومنه الإيراني ممكنا.

لم يكن العراق بعد عام 2003 ساحة لنفوذ دولة واحدة فقط، بل أصبح ساحة مفتوحة لتنافس العديد من القوى الإقليمية والدولية التي عملت ولازالت على حماية مصالحها، من خلال التأثير في طبيعة الأحداث داخله. فالولايات المتحدة، بوصفها القوة

التي قادت عملية إسقاط النظام السابق، امتلكت نفوذا عسكريا وسياسيا واسعا في العراق، وساهمت بشكل كبير في رسم ملامح النظام السياسي الجديد بعد الاحتلال. كما أن دول إقليمية أخرى، كتركيا ودول الخليج عملت هي الاخرى، على بناء علاقات سياسية واقتصادية وأمنية مؤثرة داخل العراق، بما يخدم مصالحها المرتبطة بأمنها القومي .

أن التنافس الإقليمي والدولي في العراق لم يكن نتيجة عوامل خارجية فقط، بل نتيجة ضعف الدولة العراقية بعد 2003، وغياب رؤية وطنية قادرة على قيادة البلاد بما يحفظ استقلال قرارها السياسي.

فالعراق، بحكم موقعه الجغرافي وثرواته، كان دائما جزء أساسي من توازنات المنطقة. وعندما تضعف الدولة وتفقد قدرتها على احتكار القرار، تصبح أراضيها ومؤسساتها مجالا مفتوحا لتنافس المشاريع المختلفة.

أن تناول النفوذ الإيراني في العراق لا يعني أنها كانت الطرف الوحيد الذي استخدم أدوات النفوذ، بل يعني تناول حالة محددة من حالات التأثير الخارجي. فإيران كما غيرها من القوى الأقليمية والدولية استخدمت أدوات سياسية واقتصادية وإعلامية وأمنية وغيرها لتحقيق مصالحها. لكن خصوصية الحالة الإيرانية تعود الى طبيعة العلاقة التاريخية والجغرافية والاجتماعية مع العراق والتي تستند الى علاقات ثقافية ودينية تمتد لمئات السنين، كما وأن النفوذ الإيراني لم يقتصر على العلاقات الرسمية بين الحكومتين، بل امتد إلى البنية السياسية العراقية التي تكونت خلال عقود، لتصبح بالنهاية جزء من النظام السياسي بعد عام 2003.

تتمة ص التالية

من الخطأ القول أن النفوذ الإيراني بدأ بعد انهيار النظام البعثي عام 2003 ، على الرغم من اهمية ذلك الانهيار في بسط نفوذ وتأثير مباشرين وواضحين للسياسة الايرانية بالعراق. لأن جذور الهيمنة تعود بالحقيقة الى فترة ما بعد نجاح الثورة الايرانية سنة 1979، وتطورت أكثر بعد أندلاع الحرب العراقية الايرانية التي امتدت لثمان سنوات. وقد أستثمرت إيران تلك الحرب في توطيد علاقاتها مع قوى أسلامية وغيرها من المعارضة العراقية كالتنظيمات الكردية، وفصائل مسلحة شاركت الجيش الأيراني في القتال من تلك التي ترعاها حلفائها في ليبيا وسوريا. وهدف إيران من كل هذا كان استراتيجيا وبعيد الأمد، ليضمن لها دور بارز وفعال في رسم مستقبل العراق لاحقا.

لعبت إيران دورا محوريا في تأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق عام 1982 بقيادة محمد باقر الحكيم، هذا المجلس الذي كان مظلة لقوى وشخصيات أسلامية مختلفة، من تلك التي كانت في صفوف معارضة نظام صدام حسين. أن تأسيس المجلس جاء في ظروف الحرب العراقية الإيرانية، حيث كانت إيران تسعى إلى دعم القوى العراقية المعارضة للنظام البعثي وقتها، وبناء إطار سياسي وتنظيمي لها. وقد مثل المجلس اولى المحاولات الايرانية في بناء تنظيم سياسي عراقي له قيادة سياسية وهيكل تنظيمي مهيأ للعمل في الداخل العراقي حين تتغير الظروف السياسية.

قبل أن يتولى محمد باقر الحكيم رئاسة المجلس، ولأن المجلس كان مشروعا أيرانيا اولا، فأن إيران عينت محمود هاشمي شاهروردي رئيسا له في دورته الأولى قبل أن يتولى الحكيم قيادته بعده. والشاهروردي كان شخصية سياسية أيرانية مرموقة وقتها، وشغل مناصب رفيعة في النظام، منها رئاسته للسلطة القضائية ، ورئيسا في مجمع تشخيص النظام، وعضوا في مجلس صيانة الدستور من قبل ولي الفقيه علي خامنائي. كما دعمت جناحا عسكريا تحت إسم منظمة بدر التي تشكلت من أسلاميين عراقيين معارضين للنظام البعثي ومن الأسرى العراقيين المعروفين بالتوابين وأعدادا من المهجرين العراقيين لإيران.

لقد تشكلت منظمة بدر بوصفها الجناح العسكري المرتبط بالمجلس الأعلى، لتصبح إحدى أبرز الأدوات العسكرية الـتـــي ارتبطت بالمشروع السياسي للمجلس. وتلقت الدعم والتدريب والتسليح في معسكرات تابعة للجيش والحرس الثوري الأيرانيين، وشاركت خلال الحرب العراقية الإيرانية إلى جانب القوات الإيرانية ضد الجيش العراقي. وقد شكلت تجربة منظمة بدر مرحلة مهمة في بناء علاقات مميزة بين إيران وهذه القوى العراقية، ولم تقتصر تلك العلاقات على الجانب العسكري، بل تحولت بعد عام 2003 إلى قوة سياسية وأمنية مؤثرة داخل العراق. ولم تكتفي إيران بالمجلس والجناح العسكري لها، بل نسجت علاقات وطيدة مع تنظيمات وشخصيات سياسية شيعية، والتي ساهمت ببناء شبكة علاقات واسعة وحضور مؤثر بعد أنهيار النظام البعثي.

وهنا تتجلى أهم خصائص الحرب الهجينة، فبناء النفوذ ليس بالضرورة أن يبدأ لحظة التدخل المباشر، بل يسبقها بسنوات قد تكون طويلة، عن طريق أنشاء شبكات سياسية وأقتصادية وثقافية قادرة على العمل حين تحين ظروف نشاطها وعملها، وهذا ما حصل بعد أنهيار النظام السابق عام 2003 . ودخول هذه القوى الى المشهد السياسي لم يأتي من فراغ، بل بوجود تنظيمات جاهزة للعمل ومتسلحة بتجربة عسكرية وسياسية، وشبكة علاقات أجتماعية واسعة.

تعتبر الاحزاب والمنظمات السياسية وبنائها من أهم أدوات الحرب الهجينة، كونها تفسح المجال للقوى الخارجية بالتأثير داخل الدولة المستهدفة عبر قوى سياسية محلية، عوضا من الاعتماد على التدخل المباشر أو أستخدام القوة العسكرية. وبعد العام 2003، دخلت القوى السياسية الأسلامية الشيعية العراقية التي امتلكت علاقات تاريخية مع إيران، إلى النظام السياسي الجديد، حاملة ارث تنظيمي وسياسي طويل. لتصبح جزء أساسي من العملية السياسية، وشاركت في الحكومات والبرلمان ومؤسسات الدولة المختلفة وعلى أعلى المستويات.

العلاقات بين الأحزاب السياسية في البلدان المختلفة موجودة على مستوى العالم، وليست أمر غير طبيعي أو حالة شاذة. والعلاقات السياسية بين الأحزاب العراقية وإيران تدخل ضمن نفس هذا المفهوم ، لكن الأمر غير الطبيعي والأشكالية تظهر حينما تؤثر هـــذه العلاقات على القرار الوطني، أو حينما تكون الدولة المستهدفة تربط عن طريق هذه الأحزاب مصالح بلدها ببلدان أقليمية أو دولية. والحرب الهجينة لا تعني فرض الارادة السياسية بالقوة، بل عن طريق شبكات سياسية تسهل التدخل في الشؤون الداخلية والتأثير على القرار السياسي من الداخل، وهذا ما نجحت أيران في تطبيقه بالعراق، الذي ساعد ضعف المؤسسات وتعدد مراكز القوة فيه الى جعل البلاد جزء من توازنات أقليمية ودولية هو الحلقة الأضعف فيها.

تكمن خطورة النفوذ الإيراني في العراق ليس في امتلاكه أدوات متعددة للتأثير فقط، وإنما في نجاحه في ربط هذه الأدوات بفاعلين محليين أصبحوا جزءا من البنية السياسية والأمنية والاجتماعية العراقية. فالعلاقة لم تعد مجرد نفوذ دولة خارجية في دولة أخرى، بل أصبحت شبكة من العلاقات والمصالح والارتباطات التي تعمل من داخل النظام نفسه. وهذا ما يميز النفوذ القائم على أدوات الحرب الهجينة عن التدخل الخارجي التقليدي؛ إذ لا تحتاج القوة الخارجية إلى السيطرة المباشرة على الدولة، ما دامت قادرة على التأثير في عدد من مراكز القرار والقوة داخلها. وكلما أصبحت هذه العلاقات جزء من مؤسسات الدولة أو الأحزاب أو الفصائل المسلحة أو شبكات الاقتصاد والإعلام والمجتمع، أصبح فصل النفوذ الخارجي عن البنية الداخلية أكثر صعوبة، وأصبح تغييره مرتبطا بإعادة بناء الدولة ومؤسساتها وقدرتها على اتخاذ قرار وطني مستقل.

شهد العراق بعد عام 2003 ظهور وانتشار العديد من الفصائل المسلحة، وأعلن العديد منها ولائها لإيران ولولي الفقيه علنا، وأستفادات من أشكال مختلفة من الدعم الايراني عن طريق مستشارين للحرس الثوري، من الذين ساهموا نتيجة خبرتهم في المجال الأمني والعسكري بقمع أنتفاضة تشرين/ أكتوبر. ومن الضروري أيضا الاشارة الى الدور التي لعبته هذه الفصائل في مواجهة تنظيم داعش الأرهابي ودحره، بعد أن أصدر السيد السيستاني فتوى الجهاد الكفائي.

يتبع العدد القادم

تقييم

هل احيل حقل عكاس الغازي سرا... الى ائتلاف شيفرون

أحمد موسى جياد

أرسل المهندس المتقاعد الأخ عبد الزهرة المحمداوي، بتاريخ 28 تموز 2026، مداخلة بشان حقل عكاس الغازي في محافظة الانبار تضمنت ما معناه:

يمتلك ائتلاف شيفرون وتوتال إنيرجيز (شيفرون المشغل الرئيسي بحصة 60% مقابل 40% لتوتال) زخماً تنفيذياً ملموساً؛ فبعد إنجاز الدراسات الزلزالية ومرحلة Pre-FEED التي نفذتها شركة ورلي الأسترالية، شرع الائتلاف في تصاميم FEED التفصيلية عبر تحالف KBR وهيونداي، على أن تُنجز بحلول تشرين الأول 2027. وتستهدف المرحلة الأولى استخراج 5.6 تريليون قدم مكعبة من الغاز، بطاقة إنتاجية 400 مليون قدم مكعبة يومياً تُرفع لاحقاً إلى 600 مليون، إضافة إلى 25 ألف برميل من المكثفات يومياً. وتُطرح مناقصات حفر الآبار الست الأولى في كانون الأول المقبل، على أن يبدأ أول تدفق تجاري للغاز في الربع الأول من 2031 بعد إنشاء محطة معالجة مركزية وخط أنابيب بطول 170 كيلومتراً.

بسبب عدم نشر او توفر اية معلومات رسمية وخاصة من قبل وزارة النفط حول الموضوع، فقد طلبتُ من الأخ المهندس بيان وتاكيد المصدر الرسمي الذي استند عليه في مداخلته. لم استلم منه اية إجابة لغاية ارسال استفساري هذا.

حسب أحدث المعلومات الميدانية من مصادر موثوق بمصداقيتها (تقرير نفط العراق IOR 29 أيار 2026) بشأن حقل عكاس، تشير الى استمرار نفاذية العقد المبرم مع **شركة شلومبرجر الامريكية**، الذي وقع بتاريخ 22 تموز 2025، رغم تأثيرات الاحداث الأمنية في الآونة الاخيرة.

علما انه تم توقيع العقد مع شركة شلومبرجر بعد انهاء عقد الشركة الاوكرانية Ukrzemresurs الذي وقع في شهر نيسان 2024، وقيام الشركة بتفعيل مادة التحكيم الدولي، والذي لم يحسم لغاية تاريخه، حسب علمي.

وعليه ارجو من وارى على وزارة النفط بيان الموقف بشأن ما افاد به الأخ المهندس؟

وان كان صحيحا، متى تم الاتفاق مع ائتلاف شيفرون وتوتال إنيرجيز بشأن حقل عكاس؟ ومن هي الجهة الرسمية المرتبطة بوزارة النفط التي وقعت الاتفاق؟

ولماذا لم يتم الإعلان عنه رسميا، من قبل الوزارة، لغاية تاريخه؟

وماذا حصل للعقد الموقع مع شركة شلومبرجر؟

* ارجو نشر وتوزيع هذا الاستفسار الى أوسع نطاق ممكن تعميما للاطلاع والمشاركة.

الحاقا برسالتي المؤرخة في 30 تموز 2026 المعنونة" **هل احيل حقل عكاس الغازي سرا الى ائتلاف شيفرون وتوتال إنيرجيز، يا وزارة النفط!؟** "التي وجهتها الى وزارة النفط وعممتها ضمن شبكة تواصلي الواسعة جدا، بشان المعلومات التي ذكرها الأخ المهندس عبد الزهرة المحمداوي.

استلمتُ صباح هذا اليوم رسالة الكترونية من قبل الأخ **محمد ياسين حسن، المدير العام / رئيس مجلس الإدارة- شركة نفط الوسط، المسؤولة عن حقل عكاس، يؤكد فيها ان المعلومات" لا تستند الى الحقائق وانما الى معلومات يتم تداولها في الصحافة والاعلام ".**

اكرر تحياتي مع كل الود والتقدير.
احمد موسى جياد
استشارية التنمية والابحاث
النرويج
1آب 2026

أثيرت مؤخراً شائعات وتقارير غير صَحِيحة حول إحالة حقل عكاس الغازي في العراق إلى ائتلاف يضم شركتي شيفرون (Chevron) الأمريكية وتوتال إنيرجيز (TotalEnergies) الفرنسية. وقد نفاها رسمياً مدير شركة نفط الوسط العراقية مؤكداً أنها لا تسترشد بالحقيقة ولا أساس لها على أرض الواقع.

التوضيح الرسمي : ردا قاطعاً من إدارة شركة نفط الوسط ينفي هذه المزاعم تماماً.

الاخلاق السياسية مسؤولية موضوعية

تُعد الأخلاق السياسية أحد المكوّنات الجوهرية في بناء الشرعية والفاعلية داخل النظم السياسية، حيث تمثل الإطار المعياري الذي يحدد كيفية استخدام السلطة وتحقيق الصالح العام. من الناحية التاريخية، تكشف التجارب الإنسانية أن الدول التي غابت عنها القيم الأخلاقية في ممارسة الحكم تعرضت لانهيارات سياسية واجتماعية واقتصادية، إذ يؤدي الاستبداد والفساد إلى تفكك الثقة بين الدولة والمجتمع، ما يفتح المجال للاضطرابات والاضمحلال المؤسسي. ولذلك، فإن الالتزام بالأخلاق السياسية يمثل مسؤولية تاريخية تتطلب استيعاب الدروس المتراكمة عبر العصور، خاصة ما يتعلق بدور العدالة وتوزيع السلطة وضمان الحرية والمساواة.

أما من الناحية الموضوعية، فإن الأخلاق السياسية ليست مجرد منظومة مثالية، بل هي ضرورة عملية لصيانة تماسك المجتمع وتنظيم العلاقات بين الأفراد والدولة. فالمسؤولية الأخلاقية في صنع القرار السياسي تؤدي إلى ترشيد استخدام السلطة وتوجيهها نحو تحقيق المصلحة العامة عوضاً عن المصالح الشخصية أو الفئوية. كما تساهم الأخلاق السياسية في تعزيز الشفافية، واحترام القانون، والمحاسبة، وهي عناصر أساسية لضمان فعالية المؤسسات السياسية واستدامتها. وبذلك، فإن الأخلاق في السياسة ليست بعداً تجميلياً، بل إطاراً معرفياً وعملياً يحكم السلوك السياسي ويضمن له الاستمرارية والتوازن.

عطفا على ذلك:

يتضح من أن الأخلاق السياسية ليست خطاباً مثالياً أو ترفاً نظرياً، بل هي ضرورة تاريخية وموضوعية لضمان بقاء واستقرار الدولة. فالتجارب عبر القرون أثبتت أن الانحراف الأخلاقي يقود إلى فقدان الشرعية وانهيار الثقة العامة، في حين أن الالتزام بالقيم السياسية كاحترام القانون والعدل والمصلحة العامة يرسخ استدامة الدولة ويعزز وحدتها. ومن هنا، فإن بناء منظومة سياسية فعّالة يتطلب ترسيخ الأخلاق كجزء لا يتجزأ من الثقافة السياسية للمجتمع ومؤسساته.

مراجعات

«العراق ذاكرة... والتاريخ يسجل ولا يرحم»

الأرشيف المصور للزعيم عبد الكريم قاسم هل انتم ملكيون ... اكثر منه ؟!

شهادة من داخل الأسرة الهاشمية تستحق التوقف عندها...

بعد أكثر من أربعة عقود ونصف على أحداث 14 تموز 1958، أدلى الشريف علي بن الحسين نجل الأميرة بديعة، بتصريح لصحيفة الصباح العراقية (العدد 308، 15 تموز 2004) تناول فيه حادثة مقتل العائلة المالكة.

ومن أبرز ما جاء في حديثه:

‘‘ولا أخفيكم سراً، بأن من قتل أو من أمر بقتل العائلة المالكة هو عبد السلام عارف وليس عبد الكريم قاسم’’.

وأضاف أيضاً:

‘‘إن أهداف انقلاب 1958 لم تكن تتجه إلى إعدام العائلة المالكة، وإنما كانت تهدف إلى تغيير النظام فقط، ونعتقد أن ما حصل كان خارج تخطيط المنفذين’’.

هذه الشهادة لا تصدر عن أحد أنصار عبد الكريم قاسم، وإنما عن أحد أفراد الأسرة الهاشمية نفسها، ولذلك تعد وثيقة تاريخية جديرة بالاطلاع، وتُضاف إلـــــى الروايات

المختلفة التي تناولت واحدة من أكثر القضايا إثارةً للجدل في التاريخ العراقي الحديث.

المصدر:

صحيفة الصباح البغدادية، العدد (308)، الخميس 15 تموز 2004، الصفحة السابعة بمناسبة ذكرى الرابع عشر من تموز 1958

منحه وسام الرافدين وبعد 6 اشهر صدام.. يقوم باعدمه بسبب رشوة قدرها 7000 دولار!!

في عام 1986،أُعدم أمين بغداد الأسبق المهندس عبد الوهاب المفتي النعيمي من أهل الانبار يسكن الأعظمية بعد وقت قصير من منحه وسام الرافدين .شغل منصب أمين بغداد منذ 5 كانون الثاني (يناير) 1984، وتم إعدامه لاحقاً إثر اتهامه بتلقي رشوة مالية من شركة أجنبية....الرشوة هي عبارة عن 7000 دولار أجور دراسة ابن المفتي الذي يدرس في بريطانيا دفعتها الشركة البريطانية التي تعاقد معها المفتي لتجهيز العراق بسيارات خاصة للبلدية . اعتبرت رشوة و تواطؤ للحصول على هذا العقد ... الصورة له أثناء تكريمه ومنحه وسام الرافدين ...وبعد 6 اشهر من هذه الصورة أعدم بتهمة خيانة الأمانة وسرقة المال العام..حسب ما نشر آنذاك ..

***

نعم، هذه الواقعة التاريخية دقيقة وصحيحة؛ فقد أُعدم أمين بغداد الأسبق، المهندس العراقي عبد الوهاب المفتي، في نهاية عام 1986 بأمر من الرئيس صدام حسين، وذلك بعد نحو 6 أشهر فقط من تكريمه ومنحه وسام الرافدين من الدرجة الأولى تقديراً لجهوده وإخلاصه.

تفاصيل القضية:

التهمة الرسمية:

وُجهت إليه تهمة "خيانة أمانة المسؤولية والمحافظة على أموال الدولة" إثر اتهامه بتلقي رشوة وعمولة مالية من شركة بريطانية تعاقدت معها أمانة بغداد لتوريد سيارات تخصصية للبلدية.

حجم "الرشوة":

تمثلت الرشوة المزعومة في قيام الشركة البريطانية بدفع مصاريف وأجور دراسة ابن المهندس عبد الوهاب المفتي الذي كان يدرس في بريطانيا، والتي بلغت قيمتها نحو 7000 دولار أمريكي.

القانون الصارم:

اعتبر النظام العراقي آنذاك أن قبول هذه التسهيلات من شركة أجنبية يُعد تواطؤاً ورشوة مشددة.

وكان مجلس قيادة الثورة قد أصدر قراراً يُشدد عقوبة الرشوة والعمولات من الشركات الأجنبية للمسؤولين لتصل إلى الإعدام.

ملابسات المحاكمة:

نُفذ الحكم دون محاكمة علنية تتيح أصول التقاضي الطبيعية للمتهم. وتشير شهادات تاريخية، ومنها ما عرضه المؤرخ الدكتور حميد عبد الله في برنامجه التوثيقي "تلك الأيام"، إلى أن التهمة أُلفقت للمفتي بناءً على تقارير ووشايات رفعتها الأجهزة الأمنية والمحيطون بالرئيس، ولم تثبت تهمة الفساد الحقيقي أو تعمد الإضرار بالمال العام على الرجل الذي عُرف بنزاهته الشديدة وكفاءته الهندسية العالية.

يقول الدكتور حميد عبدالله خلال برنامجه:

بكى صدام حسين اثناء الاستماع لتسجيل مسترق بصوت عبدالوهاب المفتي.

آراء حرة

« رؤية سيكولوجية ـ سياسية للحرب الدائرة »
بين أمريكا وإيران وصعوبات التوصل إلى أتفاق

د. عامر صالح

منذ بداية التصعيد الأمريكي على ايران هناك موجات من الحرب المدمرة ومحاولات من الحوار للتوصل الى اتفاق يضمن الحفاظ على وجه امريكا كما يضمن الحفاظ على وجه أيران ولايزال الفشل يخيم على أطراف الصراع وفقدان الأمل في التوصل الى اتفاق يضمن الأمن والسلام ويحفظ ماء وجهي أطراف الصراع.

أن الخلاف العميق والقاتل بين ايران وامريكا ينعكس في فهم كل من أطراف الصراع لمفهوم سيكولوجيا الخطر الوجودي لكلا الطرفين. يقوم تحليل سيكولوجيا الخطر الوجودي في الصراع الأمريكي الإيراني على فهم كيفية تشكيل الإدراك النفسي للتهديد سلوك صُنّاع القرار والمجتمعات. يُمثل هذا الصراع نموذجاً لما يُعرف في العلوم السايكو سياسية بـ "عدم تماثل الرهانات الوجودية" ، حيث يتفاوت نمط التهديد وتأثيره النفسي بين الطرفين بشكل جذري.

التباين في ادراك الخطر الوجودي:

الجانب الإيراني (خطر وجودي مباشر وشامل):

يُعرّف الخطر الوجودي لدى قيادة طهران بأنه تهديد مباشر ومباشر لبقاء النظام السياسي، والسيادة الوطنية، والتماسك الجغرافي للدولة. هذا الإدراك يدفع المؤسسة الحاكمة للدخول في "حالة الاستثناء"، حيث تُعلّق القواعد المعتادة للسياسة الدولية ويصبح الدافع الأول والوحيد هو البقاء بأي ثمن.

الجانب الأمريكي (خطر وجودي وظيفي/استراتيجي):

بالنسبة لواشنطن، لا يهدد الصراع بقاء الجغرافيا أو الشعب الأمريكي بشكل مباشر، بل يهدد الهيمنة الإقليمية، وحـــــرية الملاحة، وأمن حلفائها الأساسيين، واستقرار سوق الطاقة العالمي. الخطر الوجودي هنا لا يتعلق بوجود الدولة ذاتها، بل بنظام القوة والردع العالمي الذي ترعاه.

الديناميات السيكولوجية للقيادة الأيرانية:

تدير طهران شعورها بالخطر الوجودي عبر آليات سيكولوجية واستراتيجية محددة :

عقيدة الصمود والاستشهاد الحسابي: بدلاً من الذعر، ترتكز السيكولوجيا السياسية الإيرانية على "الردع بالعقاب". الإدراك الشديد للخطر يولد قناعة بأن التراجع يُسرّع السقوط، مما يجعل رفع كلفة الحرب على الخصم واستنزافه الخيار السلوكي الوحيد المتاح .

تدويل المخاطر: عند الشعور بالحصار الوجودي، تعمل

ايران على ربط أمنها الداخلي بالأمن الإقليمي والدولي (كتعطيل ممرات الطاقة أو توسيع نطاق المواجهة) لفرض ضغوط دولية مضادة تعيد التوازن.

استدعاء السردية التاريخية: تحويل الخطر العسكري إلى معركة تأكيد الذات وهوية تاريخية يساهم في ردم الفجوات الداخلية مؤقتاً ومواجهة الضغوط السياسية .

الديناميات النفسية للقيادة الأمريكية:

تتأثر القرارات الأمريكية تجاه الخطر الإيراني بتحيزات سيكولوجية إستراتيجية:

النفور الشديد من الخسائر المباشرة: الرأي العام والقيادة الأمريكية لديهما حساسية مفرطة تجاه الخسائر البشرية المباشرة فـــــي القوات البرية، مما يدفع واشنطن إلى الاعتماد المكثف على القوة الجوية، والضربات الذكية، والشلل الوظيفي عبر التكنولوجيا.

وهم الحسم السريع عبر تفوق القوة: ينشأ أحياناً ميل نفسي لافتراض أن توجيه ضربات مركزة أو استخدام "الضغط الأقصى" سينتج عنه انهيار سريع ومباشر في قدرة الطرف الآخر على المقاومة، متجاهلين قدرة المجتمعات الواقعة تحت تهديد وجودي على الامتصاص والتكيف.

الانعكاس على أدارة الصراع:

لعبة حافة الهاوية: يدفع الشعور المتبادل بالخطر كل طرف لدفع التصعيد إلى أقصاه، مراهناً على أن الخصم يتراجع أولاً تجنباً للصدام المباشر الشامل .

الحسابات الصفرية: عندما يُصاغ الخطاب السياسي في إطار "البقاء أو الفناء"، تتضاءل مساحات التسوية والدبلوماسية، ويصبح أي تنازل تكتيكي مفسراً على أنه ضعف سينتج عنه انهيار كامل .

سوء التقدير الإدراكي: خطورة إدراك الخطر الوجودي تكمن في أنه يقود الأطراف إلى تفسير التحركات الدفاعية للطرف الآخر على أنها تحضيرات لهجوم قاطع، مما يزيد من احتمالية الضربات الإستباقية غير المحسوبة .

سيكولوجيا الخطر الوجودي تجعل الصراع الأمريكي الإيراني محكوماً بمعادلة صعبة: إيران تحارب بنمط "لا يوجد ما نخسره" عند الاقتراب من حدود بقائها، بينما تحارب واشنطن بنمط "حفظ الهيمنة والردع دون تكلفة بشرية عالية"، وهو ما يجعل إدارة الأزمات بين الطرفين دقيقة وتتطلب دراية عميقة بدوافع الآخر النفسية.

المقارنة بين الخطورة التي يشكلها النظام الإيراني وتلك التي يشكلها ترامب على الاستقرار العالمي لا تعتمد على إجابة مطلقة بـ "أيهما أخطر"، بل على نوع الخطر وطبيعته. كلاهما يمثل تحدياً للنظام العالمي، ولكن بأساليب وآليات مختلفة تماماً:

1 ـ النظام الإيراني: خطر مستمر وهيكلي

تتمة ص التالية

يتجسد الخطر القادم من النظام الإيراني في أيديولوجيته الشمولية وسياساته التوسعية المستمرة:

الدعم للشبكات والوكلاء: يعتمد النظام على دعم الميليشيات والجماعات المسلحة في منطقة الشرق الأوسط (مثل حزب الله، الحوثيين، والميليشيات في العراق)، مما يزعزع استقرار دول بأكملها وينشر الحروب بالوكالة.

السعي للأسلحة النووية: يثير البرنامج النووي الإيراني وتطوير الصواريخ الباليستية مخاوف جدية بشأن سباق تسلح نووي في منطقة الخليج والشرق الأوسط.

تهديد خطوط الملاحة والطاقة: القدرة على تهديد مضيق هرمز والتأثير المباشر على أسعار وصادرات النفط العالمية.

قمع الداخل: يمارس النظام انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان وقمعاً عنيفاً للمعارضة والاحتجاجات الشعبية في الداخل.

2 ـ دونالد ترامب: خطر الاضطراب وكسر القواعد

يرى المحللون أن الخطر المرتبط بترامب يكمن في نهجه غير التقليدي وشعار "أمريكا أولاً":"

تقويض التحالفات التقليدية: التشكيك المستمر في جدوى حلف الناتو والتحالفات التاريخية مع أوروبا وآسيا، مما يضعف آليات الردع الجماعي.

إضعاف المؤسسات الدولية: الميل لنبذ الاتفاقيات متعددة الأطراف (مثل الانسحاب السابق من اتفاقية باريس للمناخ والاتفاق النووي) والاعتماد على الصفقات الثنائية المباشرة.

الضبابية وعدم التنبؤ: تصريحاته وسياساته الخارجية المفاجئة قد تخلق حالة من عدم اليقين الجيوسياسي، مما يدفع المنافسين (مثل الصين وروسيا) لتدقيق حدود القوة الأمريكية أو استغلال الفراغ .

الحروب التجارية: فرض الرسوم الجمركية الشاملة والسياسات والحماية الاقتصادية التي قد تضر بالاقتصاد العالمي وسلاسل الإمداد .

ويرى معظم خبراء العلاقات الدولية أن النظام الإيراني يمثل تهديداً متواصلاً ومباشراً للأمن الإقليمي والاستقرار الدولي من خلال أدوات غير شرعية، بينما يمثل ترامب تحدياً لهيكل النظام العالمي وقواعده المؤسسية واستقراره المالي والتحالفي.

المقارنة بين الخطورة السيكولوجية لشخصية دونالد ترامب وسيكولوجية النظام الإيراني (ولايتي/عقائدي) هي مقارنة بين نموذجين مختلفين تماماً في كيفية اتخاذ القرار وتصوّر المخاطر.

لا يتعلق الأمر هنا بـ "من هو الأسوأ أخلاقياً"، بل بـ "كيف يفكر كل طرف وما الذي يجعله خطيراً على الاستقرار."

1 ـ سيكولوجية دونالد ترامب: "الفردانية والصفقات"

تعتمد النمذجة النفسية لترامب لدى المحللين والخبراء على سمات أساسية :

النرجسية الفائقة والتركيز على الذات: محرك ترامب الرئيسي هو الانتصار الشخصي وصورة "صانع الصفقات الأعظم". الخطر هنا لا ينبع من إيديولوجيا دينية أو خطة توسعية، بل من رغبته في تأكيد تفوقه الحسي والنفسي .

عدم التنبؤ والارتجالية: يتعامل ترامب بعقلية رجل الأعمال والرغبة في حسم الأمور بصدمة مفاجئة، مما يجعله قادراً على اتخاذ قرارات حادة وغير متوقعة (مثل التفاوض المفاجئ، أو الضربات العسكرية السريعة ثم التراجع)

النزعة النفعية: كل شيء لديه يخضع للربح والخسارة ولغة الأرقام. الحرب لديه ليست أداة إيديولوجية بل أداة ضغط لتحسين شروط التفاوض.

مصدر الخطورة السيكولوجية لدى ترامب: التقلب وسرعة الانفعال. الخطورة تكمن في صعوبة التنبؤ بقراره القادم لغياب عقيدة مؤسسية ثابتة تحكمه، واعتشاشه المفرط بالحدس الشخصي.

2 ـ سيكولوجية النظام الإيراني: "العقيدة الأيديولوجية والنفس الطويل"

تستند السيكولوجية السياسية للنظام الإيراني إلى عقيدة المؤسسة الثيوقراطية-العسكرية (ولاية الفقيه والحرس الثوري):

عقلية "المظلومية والرسالية": يُدار النظام بمنظور عقائدي يرى الصراع في العالم بين "حق ومؤامرة استكبارية"، مما يمنحه قدرة سيكولوجية عالية على تحمّل الضغوط القتصادية الاقتصادية والعزل الدولي في سبيل "الغاية الكبرى."

الصبر الاستراتيجي: بخلاف الاستعجال الترامبي، يستند النظام الإيراني إلى عقلية شطرنجية تقوم على النفس الطويل والتمدد البطيء عبر الوكلاء والمرونة التكتيكية عند الضرورة للحفاظ على بقاء النظام نفسه.

البقاء الاستراتيجي هو الأولوية: رغم نبرته العقائدية المتطرفة، يتميز النظام الإيراني بعقلية براغماتية أعمق عندما يتعلق الأمر بتهديد وجوده الفعلي (عقيدة "حفظ النظام أوجب الواجبات").

مصدر الخطورة السيكولوجية لدى النظام الإيراني:

الثبات والالتزام الأيديولوجي الممتد. الخطورة تكمن في الجاهزية للتضحية بالموارد والرفاه الاجتماعي وتوسيع الأزمات الإقليمية طالما كان ذلك يخدم الأهداف العقائدية طويلة المدى للنظام.

الخلاصة: أيهما "أخطر" سيكولوجياً؟

تعتمد الإجابة على نوع الخطر الذي تقيسه:

الخطر على المدى القريب والتكتيكي (ترامب أخطر): لأن قراراً واحداً غير متوقع أو منفعل منه قد يغير المعادلة الدولية في لحظات، نظراً لقدرة أمريكا العسكرية وضخامتها مقابل طبيعته المزاجية.

الخطر على المدى البعيد والإستراتيجي (النظام الإيراني أخطر): لأنه صبور، ولا يتغير بتغير الأشخاص، ويمتلك رؤية عقائدية ثابته لا تتراجع بسهولة وتستثمر في الاستنزاف طويل الأمد .

الصراع الأمريكي الأيراني قد يختلف عن الصراعات الأخرى على الصعيد الأقليمي والعالمي ففي كل الصراعات هناك مشتركات او مساحة للمناورة تسهم في خلق مقدمات لحلول تنهي ولو مؤقتا حالة الصراع ولكن في الحالة الأمريكية الأيرانية لاتوجد منطقة رمادية فأما الموت او الحياة " لأحد أطراف الصراع"والقادم اسوء.

ولكل طرف في الصراع له سقف مطالب لا يمكن تحقيقها وبالتالي فأن التنازل يشكل خسارة وجودية قد يهدد ايران كنظام كما يهدد ترامب بمغادرة البيت الأبيض.

***

رأي وفكر

» الآراء العالمية: نظرة حول الشرق الأوسط «...
اتفاق مكة والهيكل الأمني الجديد للشرق الأوسط (1)

كورنيليو بيفاريو
ترجمة : صوت الصعاليك *

في مقاله المعنون "اتفاق مكة والهيكل الأمني الجديد للشرق الأوسط"، يقدم الجنرال المتقاعد كورنيليو بيفاريو عضو المجلس الاستشاري لمعهد "إيفيميس" (IFIMES) والمؤسس والرئيس التنفيذي السابق لشركة "إنجيبو" (INGEPO) للاستشارات - تقييماً يتسم بالراهنية والعمق التحليلي لاتفاقية الدفاع المشترك في مكة؛ حيث يرى أن الاتفاقية لا ينبغي أن تُوصف حالياً بأنها "حلف ناتو إسلامي"، بل ينبغي فهمها باعتبارها شكلاً ناشئاً لهيكل أمني إقليمي مرن ومتعدد الأقطاب، يرتكز على مبدأي التكامل الاستراتيجي والاحتياط الاستراتيجي (التكرار التعزيزي).

"في عالم متعدد الأقطاب، لم يعد الأمن مضموناً من قِبَل طرف واحد؛ بل يُبنى من خلال تشكيل متأنٍ ومتدرج للتحالفات والمصالح والقدرات."

مقدمة: ما وراء أخبار الساعة

يمثل توقيع اتفاقية الدفاع المشترك في مكة المكرمة بين المملكة العربية السعودية وتركيا وباكستان في 7 أغسطس 2026 أكثر من مجرد إضفاء طابع رسمي على تعاون عسكري تطور تدريجياً على مدى السنوات الأخيرة. فمن خلال النص على أن أي هجوم مسلح ضد أي من الدول الثلاث يُعد هجوماً عليها جميعاً، تُدخل الوثيقة مبدأً صريحاً للدفاع الجماعي إلى فضاء استراتيجي فشل حتى الآن في بناء هيكل أمني إقليمي متماسك ومستدام. كما أن اختيار مكة مكاناً للتوقيع يعزز الأهمية السياسية والرمزية لهذه اللحظة؛ إذ تعلن ثلاث من أكثر الدول تأثيراً في العالم الإسلامي عن استعدادها لتحويل التضامن السياسي والتعاون الثنائي إلى التزام مشترك بالردع.

تأتي هذه الاتفاقية في وقت تتشكل فيه ملامح المنطقة بفعل صراعات متفاقمة، وهجمات استهدفت أراضي دول الخليج وبنيتها التحتية للطاقة، ومواجهة بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وإيران وحلفائها من جهة أخرى، فضلاً عن تزايد الشكوك حول كفاية الضمانات الأمنية الخارجية. وبالنسبة للمملكة العربية السعودية، فإن هشاشة بنيتها التحتية النفطية ومسارات التصدير لا تهدد أمنها القومي فحسب، بل تهدد أيضاً التحول الاقتصادي المستهدف ضمن "رؤية 2030". أما بالنسبة لتركيا، فإن عدم الاستقرار الإقليمي وصعود الجهات الفاعلة من غير الدول وتدهور العلاقات مع إسرائيل تتطلب توسيع نطاق استقلاليتها الاستراتيجية. وبالنسبة لباكستان، توفر الاتفاقية فرصة لترسيخ نفوذها خارج نطاق جنوب آسيا والاستفادة من علاقة أمنية مع السعودية بُنيت على مدى عقود.

سُرعان ما وُصف التقارب بين الدول الثلاث بأنه بمثابة نشوء "حلف ناتو إسلامي". ورغم أن هذه العبارة تعكس الثقل السياسي لبند الدفاع الجماعي، إلا أنها تنطوي على خطر تشويه الطبيعة الحقيقية للاتفاقية؛ إذ لا توجد -في الوقت الراهن على الأقل- معلومات علنية تشير إلى إنشاء قيادة عسكرية موحدة، ...وجود قوات مشتركة، أو إجراءات تدخل تلقائي، أو خطط عملياتية قائمة، أو مساهمات عسكرية محددة مسبقاً. ورغم أن البيان المشترك للقمة متاح للعلن، إلا أنه لم يتم الكشف عن النص القانوني الكامل للاتفاقية أو آليات تفعيلها. وعلاوة على ذلك، صرح مسؤولون سعوديون وأتراك بأن الوثيقة لا تهدف إلى إنشاء محور عسكري أو تكتل ديني، كما أنها لا تحل محل الالتزامات الثنائية ومتعددة الأطراف القائمة حالياً.

وبناءً على ذلك، لا ينبغي البحث عن الدلالة الأعمق لاتفاقية مكة في الظهور الفوري لمنظمة تضاهي حلف الناتو، بل في التحول الذي يطرأ على المنطق الأمني في المنطقة. فالمملكة العربية السعودية وتركيا وباكستان لا تتخلى عن شراكاتها التقليدية ولا تنفصل عن القوى الكبرى التي تتعاون معها؛ بل تسعى لإضافة ضمانة إقليمية أخرى إلى علاقاتها الخارجية، ترتكز على التكامل بين الموارد المالية السعودية، والقدرات العسكرية والتكنولوجية التركية، والخبرة الاستراتيجية الباكستانية. وهكذا، تمثل الاتفاقية تحولاً من الاعتماد على ضامن وحيد إلى "التكرارية الاستراتيجية" (أو تعدد مسارات الضمان): أي بناء طبقات متعددة من الشراكات والآليات الأمنية، بحيث يمكن تعويض نقاط الضعف الناجمة عن تراجع إحداها من خلال تعزيز الأخرى.

ومن هذا المنظور، لا تُعد اتفاقية مكة مجرد استجابة للأزمة الإقليمية الراهنة، بل قد تشكل نواة لتحالف يلائم عالماً متعدد الأقطاب؛ تحالف يتسم بالمرونة، ويتجاوز النطاق الإقليمي الضيق، ويقوم على التعاون بين قوى متوسطة، كما أنه ينسجم في الوقت الراهن على الأقل مع الانتماءات والشراكات الاستراتيجية المتباينة للدول الأعضاء.

أولاً: مثلث الرياض-أنقرة-إسلام أباد: التكامل الاستراتيجي

لا تؤسس "اتفاقية مكة" للعلاقة بين الدول الثلاث من العدم؛ بل إنها تجمع في إطار مشترك ثلاثة مسارات للتعاون كانت قد تطورت بالفعل. ويُعد المسار الأكثر رسوخاً هو العلاقة بين المملكة العربية السعودية وباكستان، التي بُنيت على مدى عقود من خلال التدريب العسكري، والمساعدة الفنية، والوجود الباكستاني على الأراضي السعودية. وكانت "اتفاقية الدفاع المشترك الاستراتيجي" -التي وقعها البلدان في سبتمبر 2025- قد أرست بالفعل مبدأ اعتبار أي عدوان على إحدى الدولتين عدواناً عليهما معاً. وتُوسّع وثيقة مكة نطاق هذا المنطق ليشمل تركيا، محولةً بذلك الضمانة الثنائية إلى آلية ثلاثية ذات ثقل إقليمي أكبر بكثير.

كما تتسم العلاقات بين تركيا وباكستان ببعد عسكري راسخ، يشمل التدريب، والتعاون في المجالين البحري والجوي، والمشاريع الصناعية. أما التقارب بين أنقرة والرياض فهو أحدث عهداً، وجاء عقب فترة اتسمت بتنافس سياسي حاد؛ وقد اقترن هذا التصالح بتنامي التعاون الاقتصادي والعسكري، بما في ذلك الاستحواذ على أنظمة تركية غير مأهولة (طائرات مسيّرة) وتوطين صناعتها في المملكة العربية السعودية، فضلاً عن اتفاقيات تتعلق بالذخائر وأجهزة الاستشعار ونقل التكنولوجيا. وبذلك، تُرسّخ اتفاقية مكة -على المستوى الاستراتيجي- تقارباً كان قد بدأ يتبدى بوضوح في المجالات الاقتصادية والصناعية.

---

* المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب وليس رأي المجلة وترجمته.

تتمة ص التالية

وتستمد القوة الكامنة في هذا الإطار الجديد فاعليتها من التكامل بين الأطراف المشاركة؛ إذ ترفد المملكة العربية السعودية التحالف بالموارد المالية، والنفوذ في قطاع الطاقة، والمكانة المركزية في العالمين العربي والإسلامي. وتمتلك تركيا القاعدة الصناعية الدفاعية الأكثر تطوراً بين الدول الثلاث، إلى جانب قدرات تقليدية هامة وخبرة عملياتية تراكمت عبر الانخراط في عدة ساحات إقليمية. أما باكستان فتساهم بحجم قواتها المسلحة، وخبرتها في إدارة الأزمات، وقدراتها الاستراتيجية.

ومع ذلك، ينبغي ألا يُنظر إلى هذا التكامل نظرة مثالية مفرطة؛ فالدول الثلاث لا تتطابق مصالحها تماماً. إذ تسعى تركيا إلى تحقيق استقلالية استراتيجية وتوسيع نطاق نفوذها، بينما ترغب السعودية في حماية أراضيها وبنيتها التحتية للطاقة ومشروعها للتحديث، في حين يتعين على باكستان مواصلة إيلاء الأولوية للتوازن مع الهند وتأمين حدودها الغربية. ولا تلغي الاتفاقية هذه الاختلافات، بل تسعى إلى خلق مساحة تتيح توظيف الموارد المتباينة للقوى الثلاث بشكل منسق ومشترك عندما تقتضي الضرورة ذلك في مواجهة التهديدات. وعليه، فإن أهمية مثلث "الرياض-أنقرة-إسلام أباد" لا تكمن في مجرد تجميع القوى العسكرية، بل في إمكانية الربط بين رأس المال السعودي والتكنولوجيا التركية والقدرات العسكرية الباكستانية ضمن منظومة دفاعية إقليمية؛ وسيعتمد تحول هذه الإمكانية إلى قدرة فعلية على آليات التشاور والتخطيط واتخاذ القرار التي ستؤسسها هذه الدول.

ثانياً. الردع: إيران و"الظل النووي" الباكستاني

تتمثل الوظيفة المباشرة للاتفاقية في تعزيز الردع. فالصيغة التي تعتبر أي هجوم مسلح على أحد الأطراف الموقعة بمثابة هجوم على الجميع تزيد من حالة عدم اليقين لدى المعتدي المحتمل؛ إذ لم يعد من الممكن حساب عواقب أي تحرك بناءً على علاقتها بالدولة المستهدفة وحدها، بل يجب أيضاً أخذ احتمال تدخل القوتين الأخريين في الحسبان.

يشير السياق الذي أُبرمت فيه الاتفاقية حتماً إلى أن إيران والجهات المسلحة المرتبطة بها تشكل مصدر قلق رئيسي. فقد كشفت الهجمات على دول الخليج، والتهديدات التي تستهدف مسارات الطاقة، وأنشطة الجماعات المسلحة في اليمن والعراق، عن هشاشة الهيكل الأمني الإقليمي القائم في المقام الأول على ضمانات خارجية. ومع ذلك، سيكون من المبالغة اختزال الاتفاقية في مجرد تشكيل جبهة مناهضة لإيران؛ فلكل من تركيا وباكستان علاقاتها الخاصة مع طهران، وهما معنيتان بالحد من انتشار الصراع أكثر من اهتمامهما بتحويله إلى مواجهة إقليمية شاملة. وفي الوقت نفسه، يفرض تكثيف العمليات العسكرية الإسرائيلية وتدهور العلاقات بين أنقرة وتل أبيب مجالاً ثانوياً ضمنياً للقلق. غير أن الاتفاقية لا تحدد رسمياً أياً من إيران أو إسرائيل كخصم، وهذا الغموض مقصود.

وتُعد مسألة الوضع النووي لباكستان القضية الأكثر حساسية؛ إذ إن مشاركة القوة النووية الوحيدة في العالم الإسلامي تضفي حتماً "ظلاً نووياً" على الاتفاقية. وحتى في غياب ضمان صريح، سيتعين على الخصوم إدراج احتمال حدوث تصعيد يشمل باكستان ضمن تقديراتهم. ويمكن لهذه الحالة من عدم اليقين أن تعزز الردع السياسي، لكن ينبغي عدم الخلط بينها وبين التوسيع الرسمي للمظلة النووية الباكستانية لتشمل السعودية وتركيا. فقد نفت التصريحات الرسمية وجود أي رابط بين الاتفاقية والطموحات النووية أو سباق التسلح، في حين تجنبت إسلام أباد الادعاء بأن ترسانتها ستضمن أمن شركائها بشكل تلقائي.

وبناءً على ذلك، ستعتمد مصداقية الاتفاقية في المقام الأول على القدرات التقليدية والإرادة السياسية. فالردع لا يتحقق بمجرد إعلان الالتزام، بل بإقناع الخصم بأن هذا الالتزام سيُنفذ فعلياً. وما لم يتم إرساء آليات للتشاور السريع، وتخطيط مسبق، وقدرات تتيح العمل المشترك والجاهزية الفورية، فقد يظل البند الجماعي مجرد إشارة سياسية لا ضمانة عسكرية فعلية. ستكون الأزمة الكبرى الأولى التي يطلب فيها أحد الموقعين الدعم من الأطراف الأخرى بمثابة الاختبار الحقيقي لاتفاق مكة.

III. ما وراء إيران: الولايات المتحدة وحلف الناتو والهند والصين

تتجاوز تداعيات الاتفاق نطاق العلاقات مع إيران، إذ يتعين النظر إليها في سياق مراكز القوى الرئيسية الفاعلة في الشرق الأوسط وجنوب آسيا. وبالنسبة للولايات المتحدة، يعكس الترتيب الجديد كلاً من محدودية الهيكل الأمني الراهن ورغبة الحلفاء الإقليميين في تحمل قدر أكبر من المسؤولية عن دفاعهم الذاتي. فالمملكة العربية السعودية لا تتخلى عن شراكتها الاستراتيجية مع واشنطن، وتركيا لا تغادر حلف الناتو، وباكستان تحافظ على قنوات التعاون مع الولايات المتحدة؛ وما يتغير فعلياً هو الطابع الحصري للضمانة الغربية.

إن المقارنة مع حلف الناتو أمر حتمي، ولكن يجب أن تظل ضمن حدود دقيقة؛ فصيغة اعتبار الهجوم على طرف واحد بمثابة هجوم على الجميع تعيد إنتاج المبدأ السياسي الوارد في المادة الخامسة من معاهدة شمال الأطلسي. ومع ذلك، فإن المادة الخامسة نفسها لا تفرض رداً عسكرياً متطابقاً وتلقائياً، بل تترك لكل حليف حرية اتخاذ الإجراءات التي يراها ضرورية. ويكمن الفرق الجوهري في أن حلف الناتو يمتلك هيكلاً سياسياً وعسكرياً دائماً، وقيادة موحدة، وتخطيطاً مشتركاً، ومعايير وإجراءات للعمل المشترك (التوافق العملياتي) رسختها عقود تزيد عن سبعة عقود. أما في الوقت الراهن، فإن "اتفاق مكة" يعبر عن التزام سياسي بالدفاع الجماعي، وليس عن وجود منظمة عسكرية مماثلة.

وبالنسبة للهند، فإن انضمام تركيا إلى اتفاق يضم باكستان والمملكة العربية السعودية يثير تساؤلات أكثر حساسية؛ إذ يتعين على نيودلهي تقييم ما إذا كان يمكن تفعيل البند الجديد في حال نشوب أزمة هندية-باكستانية، ومدى تأثير شراكتها الاقتصادية مع الرياض على التضامن السعودي مع إسلام أباد. ورغم أن الطبيعة غير المحددة بدقة للالتزامات تمنح كل طرف هامشاً من حرية التفسير، إلا أنها لا تلغي التداعيات السياسية للاتفاق على موازين القوى في جنوب آسيا.

أما الصين، فهي تحتل موقعاً مختلفاً؛ إذ تُعد الشريك الاستراتيجي الرئيسي لباكستان، وترتبط بعلاقات اقتصادية واسعة مع السعودية، كما تتعاون مع تركيا رغم وجود خلافات بينهما. وقد تنظر بكين بإيجابية إلى نشوء هيكل إقليمي يقلل من الاعتماد الحصري على الغرب، شريطة ألا يؤثر ذلك على المشاريع الاقتصادية الصينية أو يؤدي إلى تصعيد يهدد ممرات الطاقة.

يتبع العدد القادم

غزة تتضور جوعا.. لتتوقف جرائم الإبادة الجماعية

" قطاع غزة يتضور جوعا. لا توجد قطرة واحدة من حليب الثدي لـ 186 طفلاً يولدون كل يوم. 90% من أطفال غزة يتناولون وجبة واحدة أو أقل من وجبة واحدة في اليوم. لا يوجد تخدير ولا مستشفيات يمكن للأمهات الحوامل المستضعفات الولادة فيها لأن مستشفى الولادة قد دمر... "

الهدف فتح ممر دائم وفعال لوصول المساعدات لفلسطين

لاستقبال المشاركين، قبل دخول الأراضي التركية.

وشمل مسار القافلة في تركيا عددا من المدن، بينها إسطنبول وأضنة وقهرمان مرعش وغازي عنتاب، وصولا إلى الحدود العراقية، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من الرحلة باتجاه الأردن.

ووفق منظميها، تسعى القافلة إلى لفت الانتباه الدولي إلى معاناة الفلسطينيين وكسر حالة الصمت تجاه ما يتعرضون له، فضلا عن محاولة إيصال مساعدات إغاثية وطبية، بينها سيارات إسعاف، وفق الإمكانات والظروف اللوجستية المتاحة.

وتدخل القافلة العراق بعد رحلة امتدت آلاف الكيلومترات عبر عدة دول، فيما يمثل العراق إحدى محطاتها الأخيرة قبل التوجه نحو الأردن، ومنه باتجاه الأراضي الفلسطينية وفق المسار الذي أعلنه المنظمون.

قال عضو مجلس إدارة "قافلة فلسطين" داوود داشكيران إن رسالة القافلة التي تشق طريقها البري هذه الأيام من قلب أوروبا نحو حدود فلسطين لا تقف عند حدود "إيصال شحنة مؤقتة من المواد الغذائية"، بل تمتد إلى العمل على فتح "ممر إنساني يضمن وصول المساعدات الغذائية والطبية والإغاثية إلى الفلسطينيين بصورة مستمرة ومن دون عوائق."

وأضاف داشكيران أن هذا الممر لا يستهدف غزة وحدها، وإنما "فلسطين كلها؛ أرضا وشعبا وكرامة وحقوقا"، خاصة مع ما تتعرض له الضفة الغربية المحتلة من تصعيد إسرائيلي في الوقت الحالي.

وتمر رحلة القافلة في أوقات بالغة التعقيد من عمر القضية الفلسطينية؛ فبينما يرزح قطاع غزة تحت حصار إسرائيلي خانق منذ أكتوبر 2023، تشهد الضفة الغربية في الوقت ذاته تصعيدا ميدانيا وسياسيا غير مسبوق على يد جيش الاحتلال وجماعات المستوطنين.

" حرب إسرائيل على غزة ".. إلى أين تفضي؟ فلسطين... شهادة في وجه التعتيم الإعلامي

''تضامن أممي'' العراق يستقبل قافلة فلسطين بالاهازيج ومشاركة الموقف التضامني

دخلت «قافلة فلسطين» البرية التضامنية الأراضي العراقية بعد عبورها الحدود التركية عبر معبر هابور، ضمن رحلة دولية انطلقت من فرنسا وتهدف إلى مواصلة الطريق عبر العراق والأردن باتجاه الأراضي الفلسطينية المحتلة، للتضامن مع الفلسطينيين والتنديد بالانتهاكات المستمرة بحقهم.

وقال القائمون على القافلة، في حديث مع وسائل الإعلام، إن المشاركين قطعوا نحو 5500 كيلومتر منذ انطلاق رحلتهم من أوروبا، ووصلوا إلى المحطة التاسعة عشرة عند معبر هابور الحدودي، حيث جرى استبدال الحافلات قبل دخولهم شمال العراق ومواصلة مسار الرحلة.
وبحسب المنظمين، يتبقى أمام القافلة نحو 1780 كيلومتراً للوصول إلى الضفة الغربية، فيما دعا المشاركون العراقيين إلى استقبالها ورفع العلمين العراقي والفلسطيني تعبيراً عن التضامن مع رسالتها.

وتضم القافلة أكثر من 500 ناشط وحقوقي يمثلون نحو 20 دولة، ويتنقل المشاركون على متن 17 حافلة، إلى جانب أسطول من المركبات وسيارات الإسعاف، ضمن رحلة برية دولية طويلة عبر عدد من الدول الأوروبية وصولاً إلى الشرق الأوسط.
وكانت القافلة قد انطلقت من فرنسا في 26 تموز الماضي، قبل وصول المشاركين إلى سربرنيتسا في البوسنة والهرسك، حيث زاروا مقبرة بوتوتشاري التذكارية وأحيوا ذكرى ضحايا مجزرة سربرنيتسا، في محطة قال المنظمون إنها حملت دلالة رمزية على رفض الإبادة والتضامن مع الفلسطينيين.

ومن البوسنة والهرسك، واصلت القافلة رحلتها عبر الجبل الأسود وألبانيا واليونان، ومرت بمدينة سالونيك الـــتي شهدت فعاليات تضامنية

آراء حرة..

عن الإمبريالية في طور مبتذل وقديم!!..

حسن خضر*

نعود، اليوم، إلى غزة، لا لتكرار الكلام المتداول، في السائد من الأخبار، والفاضي في حالات كثيرة، بل لتبديد سلطته بوصفها قاصرة ومُضللة. ومدخلنا مجلس السلام الترامبي بوصفه مشروعاً ينتمي إلى نوع قديم ومُبتذل من الإمبريالية اعتقدنا أنه انتهى منذ زمن بعيد: امبريالية المشروع الاستعماري، الذي يموله مستثمرون أفراد كشركة خاصة، ويحظى برعاية دولة المركز، وحمايتها، ليستقل عنها في نهاية الأمر، أو يصبح امتداداً عضوياً لها.

في البال شركة الهند الشرقية، التي شكّلها وموّلها تجار لندن، كشركة مساهمة خاصة لتجارة القطن والتوابل في الهند، في بداية القرن الثامن عشر، وانتهى بها الأمر بالسيطرة على شبه القارة الهندية، ونهبها، وتشكيل حكومتها وجيشها الخاص بوصفها امتداداً للمركز الاستعماري، وأغلى جواهر التاج البريطاني، وأكثرها ربحية.

وفي البال الشركة البريطانية لجنوب أفريقيا، التي أسسها رجل الأعمال سيسيل رودس، في آخر عقود القرن التاسع عشر، لاستعمار واستغلال موارد وسط وجنوب أفريقيا. نالت الشركة التفويض من الحكومة البريطانية، وامتلكت شرطة خاصة، وصلاحية التجارة، وتوقيع الاتفاقيات، وإدارة المناجم، والسكك الحديدية. وفي النهاية أنشأ المستعمرون البيض دولة روديسيا على اسم رودس نفسه.

وفي البال المستعمرات الأولى في أميركا الشمالية، التي وفّر مواردها المالية والبشرية التجار الإنكليز، وتوسّعت على حساب السكان الأصليين، الذين جعل منهم المستعمرون الأوائل ضحية اوّل حرب من حروب الإبادة. ولنذكر، هنا، تشخيص الناقد البلغاري اللامع تودوروف لفتح أميركا بوصفه بداية للأزمنة الحديثة، وكلامه عن حرب الإبادة بوصفها وثيقة الصلة بالأزمنة الحديثة أيضاً .

تتسع قائمة الشركة الخاصة كرأس حربة للاستعمار لتمثيلات أكثر، في مناطق مختلفة من العالم، بطبيعة الحال. وما يعنينا في كل هذه الحالات أن القاسم المشترك بينها هو مبادرات تجارية خاصة تُتوّج بالحصول على "تفويض" أو "اعتراف" أو "ترخيص" من المركز الامبراطوري كمصدر للشرعية.

ويمكن في سياق كهذا العثور على أوجه كثيرة للشبه بين كل ما ذكرنا ومجلس السلام الترامبي.

لم يعد في وسع المركز الإمبراطوري في القرن الحالي إضفاء شرعية على شركات خاصة تنتمي إلى الطراز الاستعماري في القرنين 18 و19، فقد تغيّرت المرجعيات القانونية، والضوابط الاقتصادية، والحساسية اللغوية، والمسوّغات السياسية والأيديولوجية، التي تجيز الاستيلاء على قطعة من الأرض في مكان ما، والتحكّم بمصير ما في باطنها من ثروات، وعلى سطحها من بشر وحجر. وفي سياق كهذا، نشأت الحاجة إلى وجود مصادر جديدة ومختلفة للشرعية. وهذا ما تقوم به الأمم المتحدة، والهيئات الدولية ذات الصلة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

حصل مجلس السلام الترامبي ـ لم يكن من قبيل المصادفة الإعلان عنه في ملتقى رجال المال والأعمال في دافوس السويسرية ـ على شرعيته من خلال القرار 2803 الصادر عن مجلس الأمن، والمؤيد لخطته بشأن غزة. واللافت، في هذا الشأن، أن المجلس الذي تم الإعلان عنه، وتوقيع ميثاقه، في المدينة المذكورة، أعلن عن نفسه كمنظمة تُعنى بحل النزاعات الدولية.

لم ينتبه الكثيرون للخدعة الترامبية، ولكن جريدة الغارديان البريطانية كانت سبّاقة في اكتشافها، وعلّقت على الإعلان بالقول: "كما حدث مع كثيرين اشتغلوا بزنس مع ترامب، تصرفت الأمم المتحدة كضحية كلاسيكية، حين بلعت الطعم، وتغيّرت البضاعة ."

القصد أن الأمم المتحدة أرادت وقف الإبادة بأي ثمن. كانت غزة هي الطعم، بينما لم تُذكر بالاسم في ميثاق المجلس الترامبي. لم يسقط اسمها سهواً، بل كان غيابه ضرورياً لتمرير طموحات صريحة ومضمرة بشأنها من ناحية، ومد آفاق النموذج الغزي إلى صراعات أُخرى في العالم، أيضاً .

ومع هذا كله في البال، تُضفي تعبيرات من نوع "المنظمة الدولية" و"حل النزاعات" على المجلس الترامبي دلالات مضللة، وتحجب حقيقته. فمن الأسلم التفكير في المجلس المذكور كمشروع خاص بترامب وعائلته وشركاه في الولايات المتحدة ومناطق مختلفة من العالم، بما فيها الشرق الأوسط. يُعزز الميثاق المُعلن في دافوس دلالة المشروع العقاري والاستثماري الخاص فيمنح ترامب سلطة حصرية تخوّله إقرار أو رفض ما يصدر عن المجلس من قرارات، ناهيك عن البت في أمور العضوية والموازنة والانفاق، بل وحتى طرد المُخالفين.

وعلاوة على هذا كله، يتحلى المجلس (ترامب، طبعاً، أو من ينوب عنه، وعلى رأس هؤلاء جاريد كوشنر على الأرجح) بصفة اعتبارية، بالمعنى القانوني، تخوّله توقيع العقود، وحيازة، أو التصرّف في، أملاك منقولة وغير منقولة، والقيام بإجراءات قانونية، وفتح حسابات مصرفية، والحصول على، أو صرف، الأموال العامة والخاصة، وتوظيف الأفراد. والواقع أن "الأملاك المنقولة وغير المنقولة" من مفاتيح صندوق العجب الترامبي، التي يجب ألا يسقطها الفلسطينيون من حساباتهم.

اللافت أن رسوم العضوية الدائمة بمليار دولار، والعضوية العادية ومدتها ثلاث سنوات، بمبالغ غير محددة، ولكنها تُحسب بالملايين، عُوملت كعلامة إضافية على ميل ترامب إلى المبالغة، وشطحاته الغريبة، ولم تفسّر كرأسمال يعود على كبار المساهمين بفرص استثمارية أكبر، وامتيازات أفضل .

والأهم أن كل ما يتصل بالمجلس وصلاحيات رئيسه، وشروط عضويته، يُعيد التذكير بطور من أطوار الامبريالية اعتقدنا، حتى وقت قريب، أنه من مخلّفات الماضي. ومن المفارقات اللاذعة، التي يمد فيها التاريخ لسانه بطول شبرين، أن بين الإبراهيميين شركاء في المشروع الترامبي ـ الإسرائيلي المزدوج للاستيلاء على أرض الفلسطينيين. فاصل ونواصل

---

* حسن خضر / كاتب فلسطيني

مرايا فكرية

»هل كان ستالين مثقفا؟«

د. عبد الحسين شعبان

ارتبط اسم الزعيم السوفياتي البلشفي **جوزيف ستالين** (1878 – 1953) بالطغيان والدموية والقمع، وهي صفات جديرة بالرجل ومرحلته التاريخية التي حكم فيها، دون نسيان ظروف الحرب العالمية الثانية وانتصارات الجيش الأحمر وهزيمة النازية والفاشية، لكن نادرًا ما يُذكر اسم ستالين مقرونًا بصفات مشتقة من الثقافة والمعرفة وسعة الاطلاع، علمًا بأنه توفي في بيته الريفي الذي ضمّ مكتبة زاد عدد الكتب فيها عن 25 ألف كتاب.

في العام 2022 أصدر البريطاني **جيفري روبرتس** المتخصّص بالدراسات الروسية والسوفياتية كتابًا بعنوان **"مكتبة ستالين: الطاغية وكتبه"**، لكن مكتبة ستالين لم تبقَ على حالها، فقد عبثت بها يد الزمن، خصوصًا وقد انهالت على صاحبها الاتهامات بارتكاب جرائم من أعلى قمة في الحزب والسلطة في الاتحاد السوفيتي، وذلك في التقرير الذي قدمه نيكيتا خروتشوف الأمين العام للحزب الشيوعي في المؤتمر العشرين (1956)، حيث أدين ستالين حاكمًا وإنسانًا.

وعلى الرغم من تفرّق مكتبته، إلّا أنه تمّ الاحتفاظ بنحو 400 كتاب منها، لأن "الزعيم" ترك فيها رائحته على هيئة تعليقات وحواش، كما تقول **إيميليا جنتلمان** في استعراضها الكتاب بجريدة الغارديان، ويخالف مؤلف الكتاب آراء عديدة تعتبر ستالين ضحلًا سياسيًا مثلما كان تروتسكي يصفه، ويقول روبرتس أنه مثقف جاد يقدّر الأفكار بقدر تقديره للسلطة، وأنه لم يكن يقرأ فقط ليعرف، بل ليرهف وعيه الشيوعي، ولكنه كان يستخدم قراءاته وثقافته لإدامة حكمه وقبضته الحديدية، ويرى في الثقافة أداة بيد صاحب السلطة.

في العام 1932 انعقد اجتماع في شقة مكسيم غوركي للأدباء والكتاب وحضره ستالين الـذي خاطبهم قـائلًا "إنكم يا معشر الكتّاب مهندسو الأرواح، فإنتاج الأرواح أهم من إنتاج الدبابات"، ثم رفع كأسه وأكمل "لنشرب نخب الكتّاب مهندسي أرواح البشر"، وذلك في محاولة التقرّب من المثقّفين واستمالتهم.

وكان أحب القراءات إليه هي **التاريخ**، وخصوصًا **التاريخ الروسي** وحقبة إيفان الرهيب (1533 – 1584) والعظيمين **بطرس** (1682 – 1725) **وكاترين الثانية** (1762 - 1796)، وانشغل بقراءة سيرة **ميخائيل كوتوزوف** الذي انتصر على نابليون في العام 1812، وكان مفتتنًا **ببسمارك**، كما كان قارئًا **لبوشكين وغوغول وزولا**، وقرأ باهتمام كتاب **"الأمير"** أكثر من مرة لمؤلفه **ميكافيلي**، كما توقّف مرّات عديدة لقراءة كتاب **"كفاحي"**، ووضع خطوطًا تحت العديد من الفقرات، وقد يكون كاتبه المفضل هو **لينين**، لكنه قرأ لأعدائه مثل **روزا لوكسمبورغ وليون تروتسكي**.

وثمة حادثة جمعت غوركي وشولوخوف وستالين، حيث كان شولوخوف قد واجه مشكلات في الحصول على ترخيص لطبع الجزء الثالث من روايته الشهيرة **"الدون الهادئ"**، فاستجار بغوركي، فدعاه إلى فيلته التي كان قد أهداها له ستالين، فلمّا وصل إليها كان غوركي بانتظاره ومعه ضيف، وإذا به ستالين شخصيًا، حينها كان القدح المعلّا بيد غوركي كما يُقال، وذلك قبل أن يتعرّض إلى التهميش والإهمال ويُمنع من السفر إلى إيطاليا للعلاج كما كان يفعل في السابق، ليقضي أيام حياته الأخيرة متدثّرًا بالصمت وحيدًا ومنكسرًا.

في ذلك اللقاء المثير دخل ستالين بحوار خاص مع شولوخوف حول بطل روايته **غريغوري**، الذي يمتاز بالشجاعة والفحولة، وكان عشيق إكسينيا ذات الجمال والإثارة، وبقدر ما كان لـه مـــن صفات إيجابية، فإن

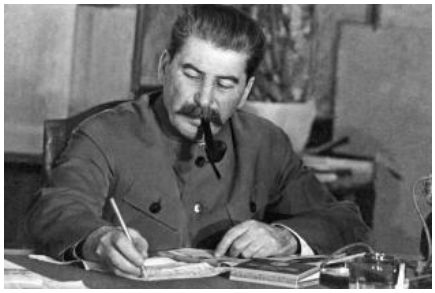

الرواية تظهره أيضًا بالتقلّب وعدم اليقين، فتارة يكون مع الجيش الأحمر وأخرى مع أعدائه، ثم يعود إليه، وهنا يتدخّل ستالين ليسأل شولوخوف: ولكن لماذا لم يدخل غريغوري الحزب يا رفيق؟ ففزغ شولوخوف وأجابه على نحو مرتبك: لا أعرف يا رفيق إنه هو الذي قرّر.

وكان ستالين يريد نهاية سعيدة لبطل "الدون الهادئ" بانتمائه للحزب، فلا يوجد شخص بالمواصفات التي تحدث عنها شولوخوف، إلّا وينبغي انضمامه للحزب، وهو مع اعتادت عليه الأنظمة الاشتراكية، وتعلمت منها أنظمة "التحرّر الوطني" في العالم الثالث بما فيها البلدان العربية التي قلدتها على نحو أكثر سوءًا، وفي النهاية تم فض هذا الإشكال الفكري بعد أن وافق شولوخوف أن يكتب رواية لتمجيد السياسة السوفيتية الزراعية "الفاشلة جدًا" والمعروفة بالسوفخوزات (المزارع المملوكة للدولة بالكامل والعاملون فيها موظّفون)، والكولخوزات (المزارع الجماعية التعاونية تحت رقابة الدولة)، والتي أنهت القطاع الخاص في المجال الزراعي.

وبالفعل اضطرّ شولوخوف إلى كتابة رواية رديئة التزامًا بتعليمات ستالين لكي تتم الصفقة، وحتى هذه الرواية لم تعجب بعض المؤرخين المسؤولين عن السياسة الثقافية، فلجأ إلى ستالين عبر سكرتيره الشخصي الذي زوده برقمه الخاص، وتم حل هذا الأشكال بعد أن قرأ ستالين النص في ثلاث ليال، ثم أجاز طبع الرواية واستبدلها بعنوان جديد، وهو ما ذكّرني بعلاقة الروائي **غابريل غارسيا ماركيز بفيديل كاسترو**، حيث كان الأخير يقرأ روايات الأول حتى قبل طبعها ويبدي له بعض الآراء، وكان ماركيز قد ألف كتابا من700 صفحة عن

---

* كاتب ومفكر

تتمة ص التالية

مرايا

شخصية من بلادي...
"بهيجة خليل اسماعيل"

موفق الربيعي

الاثارية الدكتورة بهيجة خليل إسماعيل الجراح ، ولدت في بغداد عام 1934: حصلت على درجة البكالوريوس في الآثار من جامعة بغداد، وانتقلت إلى ألمانيا ونالت درجة الدكتوراه في الكتابات المسمارية من جامعة هومبولت عام 1967..

* بعد نيلها هذا الشهادة أصبحت أول باحثة تعمل في مجال الأركيولوجيا وقارئة للمسماريات في العراق، وكذلك هي أول طالبة عراقية تحصل على الدكتوراه في علم الآثار من ألمانيا ، ومن ثم لحقتها نسويات أخريات.

* قامت بالتدريس في جامعة بغداد بقسم الآثار و تعد موسوعة حضارة العراق.

*** أبرز أعمالها**

ـ صدر الجزء الأول منها عام 1985 بعنوان (الكتابة) وأشارت فيه إلى أن أقدم أنواع الكتابة هي الكتابة الصُورية في مدينة سوسة عاصمة عيلام جنوبي العراق في الألف الثالث قبل الميلاد .

ـ مسلة حمورابي (1980)

ـ دور المستعمرات الآشورية في الأناضول (1981)

ـ الطب دوره ومكانته في حضارة العراق (1989)

ـ حكام سوخو وماري (1990)

ـ كتابات من نينوى (1992)

ـ شاركت في تأليف الجزء الأول من "المعجم الأكدي - العربي (من الألف إلى الدال) الذي أصدره المجمع العلمي العراقي عام 1999 .

ـ شاركت في تأليف "موسوعة الموصل الحضارية" عام 1992 مع باحثين آخرين.

* كما كتبت العديد من المقالات منها "نصوص جديدة في شارع الموكب" عام 1979 في مجلة سومر بالمجلد الحادي والأربعون.

* تولت منصب مديرة المتحف العراقي من عام 1983 إلى عام 1989 وتعد أول امرأة عراقية تتولى منصب مديرة المتحف العراقي.

* في الجزء الاول من كتابها (الكتابة) اشارت فيه إلى أن أقدم أنواع الكتابة هي الكتابة الصورية في مدينة سوسة عاصمة عيلام جنوبي العراق في الألف الثالث قبل الميلاد، والذي ظلّ مستخدماً مع بعض الاختلافات البسيطة إلى العصر الأكدي، ثم استبدل بالخط المسماري ، وترى أن حضارة عيلام شكّلت جسراً لنقل مفاهيم وأسس الثقافة العراقية إلى الأقوام المجاورة ، ومنهم الفرس ، وانتشرت لغتها أيضاً خارج العراق لتتحدثها عدّة قبائل محيطة بها، حيث عُثر على ألواح مكتوبة بأبجديتها في عدّة مناطق من سورية وتركيا وإيران ، كما تخلص إلى أن اختراع الكتابة من أهم مقومات الحضارة العراقية القديمة، وكانت في أول أطوارها تتألف من ألفي علامة صورية، ولكثرة العلامات المعقدة وصعوبتها أخذ السومريون يبسّطون ويختصرون في أشكالها، وفي مطلع الألف الثاني قبل الميلاد أصبح عددها يتراوح بين (550 – 500) علامة مسمارية.

* ذكرت الدكتورة فاتن الجراح باحدى محاضرتها والتي اكدت من خلالها على ان الاستاذة (بهيجة خليل اسماعيل) : امتازت بشغفها وولعها بفك رموز الخط المسماري, فضلا عن نشاطها في المتحف الوطني العراقي واكتشاف الكثير من الرقم الطينية المسمارية.

توفت رحمها الله يوم 13 يناير/كانون الثاني عام 2019 في العاصمة الأردنية عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، وأقامت وحدة تمكين المرأة في وزارة الثقافة والسياحة والاثار وبالتعاون مع دار الثقافة والنشر الكردية حفلاً تأبينياً لها

هل كان ستالين مثقفا؟

الحصار الأمريكي الجائر المفروض على كوبا، لكن كاسترو حين قرأه فضّل عدم نشره، وهكذا ضاع جهد كبير، وأظن أن مثل هذه الوثيقة المهمة كان ينبغي أن ترى النور، خصوصًا وأن كاتبها مبدع كبير وذو حساسية جمالية إنسانية خاصة.

ويحضرني في هذا المجال أيضًا قصّة مأساوية أخرى تتعلّق بحريّة التعبير، حيث اعتُقل المفكّر العراقي **عزيز السيد جاسم** بسبب كتاب كان قد أصدره في بيروت، وأُجبر وهو في المعتقل على كتابة نصوص أخرى كي يُطلق سراحه، لكنه اعتُقل مرة ثانية في العام 1991 واختفى أي أثر له إلى اليوم.

أستطيع القول إن ستالين وما تركه من أثر ثقافي وكتب ودراسات، وخصوصًا في المسألة القومية، أنه كان قارئًا ومفسّرًا لبعض آراء لينين، وهو من ألصق عبارة اللينينية بالماركسية، لتصبح عنوانًا للحركة الشيوعية، معتبرًا "اللينينية ماركسية عصرنا"، وذلك لمواجهة خصومه.

هل يكفي ذلك لكي نقول إن ستالين مثقفًا؟ أم أن اهتمامه بالقراءة كان ناجمًا عن حبّه للمعرفة لتوظيفها لصالحه وصالح السلطة السوفيتية؟ والثقافة ليست معرفة فحسب، بل هي سلوك تتمثّل فيه القيم الإنسانية، كما أنها لا تعصم الإنسان عن ارتكاب المعاصي، خصوصًا بزعم امتلاك الحقيقة وادّعاء والأفضليات، وذلك ديدن الحكّام على اختلاف العصور، فالحاكم قد يهتمّ بالثقافة، لكنه في الوقت نفسه يمكن أن يكون سفاحًا مثل **الحجّاج بن يوسف الثقفي**، الذي كان يحفظ القرآن، ومثل **هتلر** الذي بدأ شبابه فنانًا تشكيليًا، وسعى ليكون مسرحيًا وكثير الشغف بالأوبرا، لكنه فتح نار جهنّم في الحرب العالمية الثانية التي راح ضحيّتها أكثر من 60 مليون إنسان، ومثل **رادوفان كاراديتش**، الرئيس الصربي، الذي كان شاعرًا وكاتبًا، ولكنه متعصبًا قوميًا، وهو المسؤول عن الإبادة الجماعية في سريبرينتسا (1995)، ومثل **صدام والقذافي** حاولا كتابة روايات لينضما إلى قافلة المثقفين، لكنهما ظلّا يطلبان من الجميع الركوع لهما، حتى وإن حاولا الظهور بمظهر التقاة الورعين.

آثار

مواطن يناشد »الهيأة العامة للآثار والتراث«

منذ اكثر من 7 اشهر، يناشد المواطن أحمد طه الحامكو المسؤولين الاثاريين لاستخراج الرأس الخاص بالثور المجنح الذي يعود لقصر اسرحدون في تل النبي يونس، ووعدوه الجميع بمتابعة الموضوع، ولكن لم يجد لحد الان اي اهتمام بالأمر وكأن هذه القطعة الاثرية المهمة شيء عادي بسيط!! ..

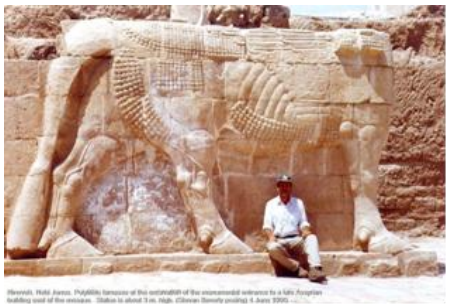

ما لا يعرفه الكثير في نينوى والعراق بشكل عام ان رأس الثور المجنح الذي اكتشف نهاية ثمانينات القرن الماضي من القطع الفريدة والنادرة والمهمة في هذا القصر "ربما الاكثر اكتمالا وحفاظا على تفاصيلها" وانه لم ينقل لمتحف في وقتها بل تم دفنه في مكان معلوم للحفاظ عليه، ونرى ان الوقت مناسب جدا للاستفادة منه في تزيين متحف بغداد أو متحف الموصل الحضاري..

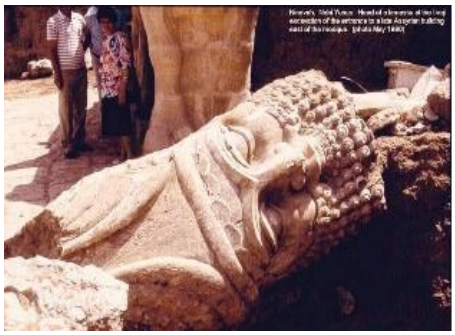

ويدعو أحمد طه الحامكو الغيور، ان يكون هذا الأمر قضية رأي عام بعد وضوح عدم جدية المسؤولين في السلطة الاثارية.

يُعد أحمد طه الحامكو مشاركا نشطا على منصات التواصل الاجتماعي مثل "فيسبوك"، حيث يشارك في نقاشات تتناول التاريخ وعلم الآثار ومواضيع التراث الإقليمي. (التواجد على وسائل التواصل الاجتماعي: التعليق في المجموعات العامة المهتمة بالتاريخ والثقافة، والمشاركة في نقاشات حول التراث والشخصيات الإقليمية).

كما يعرض أفلام الفيديو الذي من شأنها أن تكون نموذجاً لنقاشات التاريخ والتراث العامة التي يشارك فيها أفراد المجتمع عبر الإنترنت: ومنها فيلم اكتشاف أكبر ثور مجنح في قصر آشوري خلف جامع النبي يونس.

عُثر على أجزاء ورؤوس للثيران المجنحة (اللاماسو) في موقع **تل النبي يونس** بمدينة الموصل بالعراق، والتي تعود لقصر الملك الآشوري **أسرحدون** 669–680)ق.م). وُجِدت هذه الآثار في طبقات عميقة تحت التل الذي بني فوقه جامع النبي يونس، وتم اكتشاف بعضها لأول مرة في تسعينيات القرن الماضي، تليها اكتشافات لاحقة لثيران مجنحة أخرى عبر البعثات العراقية-الألمانية المشتركة.

يقع قصر أسرحدون في أعماق تل النبي يونس بالموصل، ويمثل طبقة أثرية آشورية هامة تعلوها لاحقاً معالم تاريخية ودينية.

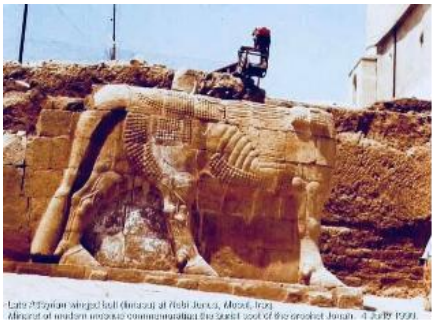

يرمز الثور المجنح إلى القوة والحكمة والحماية، وكانت تُزين به بوابات وقاعات القصر الملكي.

أربعون عاما مضت... لكن مسؤولية الكلمة لم تنتهِ

اتحاد الصحفيين الألمان.. يكرم الصحفي العراقي عصام الياسري

يوم الثلاثاء 18 أب/أغسطس 2026
تكريم اتحاد الصحافيين الألمان
Deutsche Journalisten Union Ver, di
الصحفي العراقي عصام الياسري

ثمة مناسبات نمرّ بها ونكتفي بأن نحتفل، وثمة مناسبات تجعلنا نتوقف قليلا أمام الزمن، لا لكي نعدّ السنوات، وإنما لكي نتأمل ما حملته لنا، وما تركناه فيها من أثر.

بمناسبة مرور أربعين عاما على عضويته، يحيي في الثامن عشر من أغسطس 2026 في مقره في برلين اتحاد الصحفيين الألمان (Deutsche Journalisten Union Ver,di) حفل لتكريم الصحافي والكاتب العراقي عصام الياسري.

ومن جانبه صرح الياسري بهذه المناسبة بالقول:

بالنسبة لي، تأتي مناسبة مرور أربعين عاما على عضويتي ليس مجرد علاقة عضوية في سجل مؤسسة، إنما مسيرة مهنية ونقابية وإنسانية يرتكز عليها شعار النقابة لعموم ألمانيا [نحن نقابة العاملين في مجال التحرير، وإنتاج المحتوى الإعلامي، والصحافة المستقلة. ندعم كل من يبحث، ويتحقق من الحقائق، ويروي القصص، ويكشف التجاوزات، ويرفع مستوى الوعي العام.] لذا: أشعر أن الرقم «أربعين» أكبر من أن يكون مجرد عدد في سجل عضوية. إنه أربعون عاما من الحياة المهنية، ومن العمل، والتجربة، والصداقات، والاختلافات، والمواقف ومن التحولات التي مر بها العالم والصحافة معا.

وأردف قائلا:

ولعل من المفارقات الجميلة في هذه المناسبة أن عددا كبيرا من الزميلات والزملاء والأصدقاء أبدوا رغبتهم في الحضور ومشاركتي هذه اللحظة، لكن عدد المدعوين تجاوز قدرة القاعة على استيعاب الجميع. وكنت، بصراحة، أتمنى أن أرى بعض أولئك الذين رافقوا بعض محطات الرحلة أمامي في هذه اللحظة. لكنني تعلمت من الصحافة، ومن الحياة قبلها، أن الحضور لا يقاس دائما بالمكان. فثمة أشخاص قد تغيب أجسادهم عن القاعة، لكنهم يكونون حاضرين في الذاكرة أكثر من كثيرين يجلسون أمامنا. ولهذا سأرى في كل مقعد لم يستطع صاحبه الوصول إليه وجها أعرفه، وذكرى أعتز بها، وصداقة كان يمكن أن تكون جزءا من هذه اللحظة.

ذاكرة وطن

« بغدادُ... يا وجع السؤال »

د. أحمد النقيب

إلى من يسألني: لماذا لا تعود إلى العراق وتستقر فيه؟

إلى كل من يسألني بمحبة، أو باستغراب، أو ربما بشيء من العتب:
لماذا لا تعود إلى العراق؟ ولماذا لا تشتري بيتًا في بغداد وتستقر هناك؟

أعرف أن السؤال يبدو بسيطًا، وأن الإجابة عنه قد لا تحتاج، في نظر البعض، إلى أكثر من قرار وتذكرة سفر. لكن هذا السؤال يأخذ من قلبي شيئًا في كل مرة أسمعه، لأن جوابه ليس سهلًا، ولا يمكن أن يقال بلا حزن، ولا أن يُكتب من دون أن ترتجف الكلمات بين يدي.

أنا لم أبتعد عن العراق جفاءً، ولم أنس بغداد، ولم أتخلَّ عن وطني. لكن هناك أوطانًا نغادرها بأجسادنا، ثم تظل أرواحنا معلّقة في شوارعها وبيوتها وأصوات أهلها إلى الأبد.

تركت بغداد منذ أكثر من أربعين عامًا، لكنها لم تتركني يومًا واحدًا.

تركتها عروسًا يزيّنها دجلة، وتحتضنها المآذن والقباب، وتفوح من أزقتها رائحة الياسمين، ممتزجة بصوت حسين نعمة وعفيفة إسكندر. تركتها حين كانت البيوت مفتوحة، والقلوب أكثر اتساعًا من الأبواب، وحين كان الجار قريبًا إلى درجة أنه لا يطرق الباب، بل يدخل من باب المطبخ كما يدخل فرد من أفراد العائلة.

تركتها حين كان الأطفال يركضون في ساحات المدارس والحدائق، لا يقفون بين السيارات عند إشارات المرور يستعطفون العابرين.

تركتها وبيت جدي عامر بالضحكات والوجوه التي أحببتها. كانت المرجوحة في الحديقة عرشي الصغير، وكانت الحديقة مملكتي. كنت أتمدد عليها ليلًا، أستمع إلى إذاعة مونت كارلو وبرنامج حكمت وهبي، ثم أصعد إلى سطح البيت لأنام مع بقية أفراد العائلة تحت سماء بغداد المزدحمة بالنجوم.

كنت صغيرًا، لكنني كنت أشعر بالأمان. كنت أشعر أن لي وطنًا يحميني، وبيتًا ينتظرني، وجيرانًا يعرفون اسمي واسم أبي وجدي، ومدينة تحتويني مهما ابتعدت عنها.

كان لدينا دولة مؤسسات، وكان للعلم احترام، وللقانون مكان، وللكرامة معنى. وكانت جامعة بغداد وغيرها من جامعات العراق منارات للعلم، يفتخر الناس بالانتساب إليها، ويحمل خريجوها شهاداتهم باعتزاز أينما ذهبوا. وكان في العراق أساتذة وعلماء وأطباء ومهندسون ينافسون كبار العقول في العالم.

أما اليوم، فإنني أخشى أن أعود فلا أجد بغداد التي أعرفها. اليوم، أصبحت الشهادة الجامعية تُشترى، وأكل الصدأ ميزان العدالة حتى اختلّ، وضاعت بين كفّتيه حقوق الناس وكرامتهم.

بيت جدي لم يعد قائمًا. هُدم البيت، واختفت الحديقة، ورحلت المرجوحة، وغابت الوجوه التي كانت تملأ المكان بالحب. الأصوات التي كانت تناديني أصبحت صدى بعيدًا، والذكريات التي كانت يومًا حياة كاملة صارت صورًا أحتفظ بها في قلبي خوفًا عليها من الضياع.

من بقي من الجيران؟

ومن بقي من الأحبة؟

ومن يتذكر اسم عائلتنا بعد أن تبدلت البيوت والشوارع والأجيال؟

أخشى أن أمشي في أزقة طفولتي فلا تعرفني، وألا أعرفها. أخشى أن أبحث عن بغداد في بغداد فلا أجدها.

اليوم لا يعيش العراق في زمن «علي بابا والأربعين حرامي»، اليوم فكأننا نعيش في زمن الملايين من الحرامية. تحولت الحكاية إلى مأساة، والخرافة إلى واقع، وأصبحت بغداد التي أحبها محاطة بخناجر الفساد والطمع والإهمال.

أنا لا أخاف من السفر إلى بغداد، بل أخاف من اللقاء.

أخاف أن أراها جريحة ولا أستطيع مداواة جراحها. أخاف أن أراها تنزف أمامي، وأن أقف عاجزًا أمام ما أصابها. أخاف أن أرى الأطفال يستجدون، والوجوه منهكة، والقلوب مثقلة بالخوف والحرمان. أخاف أن تنكسر في لحظة واحدة الصورة الجميلة التي حافظت عليها في داخلي أكثر من أربعين عامًا.

بغداد التي تسكن قلبي ما زالت جميلة، نقية وحنونة. ما زال نهر دجلة العظيم، وبيت جدي، والمرجوحة، وسطح المنزل، وأصوات العائلة، وضحكات الجيران، ورائحة الخبز والشاي والياسمين. ما زالت المدينة التي ودعتها ذات مساء، وأنا أظن أن الغياب لن يطول.

لكن الغياب طال، وتغيرت المدينة، وتغير العالم،

وبقيت أنا واقفًا بين بغدادين: بغداد أعيش على ذكراها، وبغداد أخشى أن أراها فلا أتعرف عليها.

لهذا، عندما يسألني أحدكم: لماذا لا تعود وتستقر في العراق؟

أقول له: لأن العودة ليست دائمًا رجوعًا إلى الوطن. أحيانًا يعود الإنسان إلى المكان، فيكتشف أن الوطن الذي كان ينتظره لم يعد هناك. قد يجد الشوارع نفسها، لكنه لا يجد الوجوه. قد يرى النهر، لكنه لا يسمع الأصوات القديمة. قد يقف أمام البيت، لكنه لا يجد الطفولة التي كانت تسكنه.

أنا لم أترك بغداد، بل بغداد التي عرفتها اقتُلعت من الواقع واستقرت في قلبي. احتفظت بها كما كانت يوم ودعتها: شامخة، دافئة، كريمة، تحتضن أبناءها ولا تفرق بينهم .

لم أنس العراق، ولن أنساه ما حييت. العراق ليس مكانًا بعيدًا أزوره، بل هو جزء من اسمي وذاكرتي وصوتي وملامحي. هو حزن أحمله، وفخر لا يفارقني، وجرح لا يراه الناس.

نعم، أعيش في الغربة، لكن أقسى أنواع الغربة ليست أن يعيش الإنسان بعيدًا عن وطنه، بل أن يعود إليه فيشعر أنه غريب فيه.

أحب العراق حبًا لا تستطيع الكلمات وصفه، لكن قلبي لا يقوى على مواجهة نسخة موجعة من الماضي الذي أقدّسه. لذلك أختار أن تبقى بغداد في داخلي كما كانت، لا كما أصبحت؛ مدينة جميلة لا تهرم، وبيتًا لا يُهدم، ووجوهًا لا ترحل، وسماءً تظل ممتلئة بالنجوم.

فلا تلوموني إن لم أعد.
أنا لم أبتعد عن العراق...
أنا أحمله معي أينما ذهبت.

***

آراء فكرية

مسائل للنقاش: شغلني موضوع «التطوّرُ والتحوّلُ »

(2)

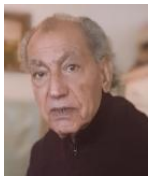

د.عدنان الظاهر

هذه وجهة نظري أُصرّح بها عَلَناً ولا أدّعي أني مُصيب بشكل مُطلق وأنْ لا من وجهات نظر أخرى مغايرة أو مناقضة وهي وجهة نظر فكرية ـ فلسفية مُبسّطة مستقلة عن باقي النظريات والفلسفات الأخرى وعن الإقتصاد والإقتصاد السياسي خاصةً. كما إني لا أناقش مسألتي المركزية الدمقراطية ودكتاتوريّة البروليتاريا ودوريهما في تعثّر وفشل الإشتراكية في سباقها مع الرأسمالية. أتذكّرُ موقفاً لا أنساه: في لقاء تمَّ بين كرباتشوف والرئيس الأمريكي رونالد ريغان سأل هذا ذاك سؤالاً ذكيّاً خبيثاً: مَن الذي انتصر في الحرب الباردة أنتم أم نحن؟ أجاب كرباتشوف " نحنُ " .... هل كان هذا الرجل غبيّاً في إجابته أم كان كصاحبه خبيثاً؟ ما مصير هذا الرجل؟ باع اسمه بمليون دولار علامة فارقة لشركة تنتج الفودكا . لم يُطق المقام في وطنه بل تشبث بوسائل كثيرة ليهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية حتى رتبت له مصادر معروفة زيجة زواج من إمرأة أمريكية (ربّما روسيّة الأصل مهاجرة لأمريكا) أخذته معها إلى بلدها وطبيعي سيطلب هناك الجنسية الأمريكية حسب قوانين الهجرة الأمريكية. أيها الناس ! لا تنسوا مَنْ كان هذا الرجل في موسكو وعموم الإتحاد السوفيتي قبل تفككه وزوال المنظومة الإشتراكية وحلف وارشو... تذكّروا عسى أنْ تنفع الذكرى ! هل تنتصر الإشتراكية برجال من هذه النوعية والعيار؟ لا أتكلم عن السكير المدمن يلتسين ... لا .. ليتكلم عنه غيري. إلى هذا وذاك إنتهى مصير الإشتراكية وفي قلبها وموطنها الأول ويأتيك مَنْ يُثرثر من كافة جهاته حول حتمية خسارة الإشتراكية وانتصار الرأسمالية !

سؤال:

هل الحرب ضرورية للتحول من الرأسمالية إلى الإشتراكية وأنْ لا إنتصار لهذه على تلك إلاّ بالحرب؟ هذا سؤال مطروحٌ للمناقشة.

ملاحظة: أكتب مقالي هذا وأتابع ما ينشر الدكتور محمود محمد علي من مقالات في موقع " المثقف " بعنوان [سقوط الإتحاد السوفيتي بحروب الجيل الرابع] ... حزيران 2019 . ما أكتب شئ مُختلف عمّا كتب الدكتور محمود فإنه يُركّز على دور الحروب في هذا السقوط أي أنه سار في المنحى المعاكس لإتجاهي بتناوله أثر الحرب في فشل التجربة الإشتراكية بينما أنحو أنا المنحى المعاكس أعني هل تنتصر الإشتراكية بالحروب ولا غير الحروب؟ وهذا يعني فشل واندحار الرأسماليّة نتيجة خوضها للحروب .

همّي الأكبر هو دراسة وتحليل عواقب تعطيل آليات قوانين الدايالكتيك وكيف عُطلت ومن قام بتعطيلها فترة الحرب الباردة التي بدأت بُعيد الحرب العالمية الثانية كما هو شائع لكني أجزم أنها (الحرب الباردة بين المعسكرين) بدأت مع الحرب الأهلية الإسبانية في عام 1936 وغزو الجنرال فرانكو لإسبانيا منطلقاً من المغرب وتواطؤ الغرب معه خاصة هتلر وطائرات سلاحه الجوي التي دمّرت الكثير وفي مقدمة ما دمّرت والأكثرشُهرة هي مدينة غيورنيكا التي خلّدها الفنان بيكاسو بلوحته الشهيرة " غيورنيكا " المعلّقة اليوم على أحد جدران المتحف الوطني الإسباني في العاصمة مدريد.

الرأسمالية العالمية تُدرك جيّداً أنَّ السلامَ العالمي هو عدوها اللدود ومعول هدمها وتحويلها إلى أنقاض وآثار عفى عليها الزمن فبدون حروب تواجه كساداً قتّالاً وبطالة مروّعة وفقر وجوع وإضرابات وتخريب الأمر الذي يؤول بالحتم نحو إيثار الناس للنهج المغاير: الإشتراكية، لذا تظل هذه الرأسمالية العالمية تفتعل الحروب والنزاعات لتعطّل فعل قوانين التطور والتحول الضرورية لقيام التحولات الكبرى في ظل السلم العام. هذه هي المسألة كما أراها.

سؤال آخر:
حول مقولة البقاء للأصلح والبقاء للأقوى /

هل صحيحٌ أنَّ الأصلحَ ينتصر في صراعات الحياة والإنسان والحيوان في الطبيعة وهل يبقى هذا (الأصلحُ) هو الأصلح لآماد وآماد وهذا أمر يخالف جذريّاً قوانين التطور والتحول الدايالكتيكية فالمادة في حركة دائبة مع مرور كل ثانية زمنية ومع هذه الحركة يتم التحول والتطور أي أنَّ ما هو صالح اليوم سيغدو غير صالح غداً وهذه بديهة يعرفها

فيلق من الأنصار الأمميين / الحرب الأهلية الأسبانية 1936

الجميع. البقاء والصلاح يتناقضان عاجلاً أم آجلاً. أضرب مثلاً من المسألة التي سبقت الإشارة إليها .. أعني النزاع بين عليٍّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سُفيان الذي حُسم لصالح معاوية في معركة صفيّن حيث خدعة التحكيم ورفع المصاحف على رؤوس الرماح. هل انتصر معاوية على عليّ لأنه الأفضل والأصلح؟ كلاّ ! إنتصر مَنْ انتصر بخدعة لئيمة وخيانة وغدر مُركّب فكيف يكون الخائن والغادر والدسّاس هو الأفضل؟ الناس مختلفون حول مقاييس الفضيلة فمن قائل [الغاية تبرر الوسيلة / ميكيافيلي] فافعلْ ما شئتَ لكي تكون المنتصر ... إكذبْ ... مارس العهر .... أغدرْ ... إشترِ الرجال بالمال والنساء ... قدّم ظهرك لعدوّك ... مارس القوادة وما شابه ذلك ... إفعلْ لتنتصر على خصمك ما شئتَ ! هل في هذا صلاح للأمّة؟ قال قبلنا مفكّرون وفقهاء إنَّ الدُنيا إنتصرت بمعاوية على الدين مع عليّ وانتصارها يعني غلبتها وأفضليتها على الدين والجنّة والآخرة وأنها تمثل عصرها وإنها هدف وغاية أغلبية ناس ذاك الزمان ولا غرابة في هذا النصر ففيه إرادة ومزاج ومصالح الناس فحققت الحياة إرادتهم وأعلت قيمهم وضمنت حاجاتهم إذْ ليس أمامهم إلاّ حياة واحدة يحيوها لمرة واحدة أما الجنّة فشأنها لمن يعتقد بها ولمن يبتغيها وهناك ثلاثة أمثلة معروفة ومتداولة تعبّرُ أصدق تعبير عن هذا الكلام منسوبة لخليفتين أو ثلاثة من خلفاء بني أُميّة (لِعِبتْ هاشمُ بالمُلكِ فلا / خبرٌ جاءَ ولا وحيٌّ نزلْ) والثاني (اليومَ خمرٌ وغداً أمرُ) والثالث (إذا لاقيتَ وجهَ ربّكَ يومَ حشرٍ / فقلْ يا ربِّ مزّقني الوليدُ) هنا يخاطب الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان قرآن المسلمين .

معلوم أنَّ الناس يتبدلون في حيواتهم وتتغير

تتمة ص التالية

أمزجتهم وأنماط هذه الحيوات ويتغير طعامهم وتتغير ملابسهم ويتغير ملوكهم وسلاطينهم وأمراؤهم وخلفاؤهم فكيف نفهم مقولة أنَّ البقاء للأصلح؟ هل تنطبق هذه المقولة على حالة سقوط دولة بني أُميّة وانتصار دولة بني العبّاس؟ وسقوط هذه وانتصار دولة هولاكو والمغول؟ سقطت الملكية في العراق وانتصر النظام الجمهوري وتتابعت الإنقلابات حتى مجئ البعث للحكم في إنقلاب 17 تموز 1968 فهل تسلسلت هذه الإنقلابات من الأسوأ للأفضل وأمامنا ما آل إليه حكمُ آخر حزب وعصابة حكمتا العراق! هل وضع العراق اليوم (تموز 2019) أفضل من وضعه زمن عبد الكريم قاسم أو عبد الرحمن محمد عارف؟ البقاء أصلاً أمر نسبي عابر ولا ثبات في الحياة فالصالح اليوم لا يبقى للأبد صالحاً.

سؤال آخر: هل الأقوى هو الأصلح وهل الأصلح هو الأقوى؟ هل انتصرت الرأسمالية على الإشتراكية في زماننا هذا لأنها الأقوى أم لأنها الأصلح أم الإثنان؟ لا تنتصر الإشتراكية على الرأسمالية بالحروب بين هذين القطبين بل تنتصر سلميّاً في قطب الرأسمالية الأكبر في مجرى التنازع والصراع الطبقي اليومي الدائب بين جبهة الرأسمال من جهة والطبقة العاملة المُنتجة في الصناعة والزراعة ومناجم الفحم والتنقيب عن المعادن كاليورانيوم والذهب والماس وباقي المعادن النادرة والثمينة ... وحلفائها من المثقفين والبرجوازية الصغيرة بكافة مستوياتها. فإذا حصل التحول التأريخي الجبّار هنا جرَّ العالم معه في هذا التحول سريعاً أو تدريجاً أو يأخذ أشكالاً شتّى حسب ظروف البقية من بلدان العالم وطبيعي أنْ لا تجري هذه التحولات بطرفة عين بل ستأخذ حِقباً وأجيالاً لا يستطيع أحدٌ تقديرها فقد تقصُر وربما تطول لأزمان وأزمان إعتماداً على ظروف العالم الشديدة التغيّر التي يمكن التنبؤ ببعضها والقليل منها.

الإشتراكية في قلب الرأسمالية وليس في التنازع [والتعايش السلمي] بين قطبين عُظميين.

الفصل الثاني:

حول مقولة (الصُدفة والضرورة) ومن أنْ (لا صُدفة بدون ضرورة).

أرى أنَّ في هذه المقولة الشهيرة خطأ خطيراً بل وأكثر من خطأ. أجملها بما يلي:

1ـ الصدفة والضرورة ليستا أضداداً جدلية [دايالكتيكية]

2ـ الأضداد الجدلية [الدايلكتيكية] تستلزم وحدتها والصراع فيما بينها حسب قانون " وحدة وصراع الأضداد " الماركسي الجدلي.

3ـ قوانين الصراع الماركسية تقرر أنْ في مجرى الصراع بين الأضداد ينتصر أحدها ويفنى الآخر ... فمن هو المنتصر ومن هو المندحر الفاني في عملية الصراع المُفترض بين الصدفة والضرورة وما هو العنصر الجديد وليد هذا الصراع؟ صدفة جديدة؟ ضرورة جديدة أو ماذا؟

4ـ لا أرى أية علاقة بين الصدفة والضرورة والأمثلة أكثر من أنْ تُعدُ وتُحصى منها مثلاً:

أهم قادة انقلاب 17 تموز 1968

أمشي على رصيف شارع عام في مدينة كبيرة أو صغير تقابلني سيارة ما أنْ تقترب مني حتى ينفجر إطار أمامي فيها فتنحرف وتصعد الرصيف وتقتلني وربما آخرين غيري. أين الضرورة في هذه الصدفة؟ هل قتلي في حادث عارض وغير متوقع هو ضرورة وما طبيعة هذه الضرورة وإلامَ تؤدي؟ أنْ أمشي على رصيف شارع عام في زمن محدد وتقترب مني في هذا الزمن المحدد سيارة ينفجر فيها واحد من إطاراتها الأمامية فتنحرف وتصطدم بي وتقتلني ! هذه محض مصادفات عرضت فما وجه ضرورتها في عملية قتلي ومفارقتي للحياة؟ هل في تنحيتي من الحياة ضرورة وضرورة لمن؟ هل فيَّ على الحياة خطر داهم يستدعي إزالتي من على سطح الكرة الأرضية لتجنيبها شرَّ هذا الخطر؟

مثال آخر: أحجز مقعداً في طائرة تأخذني إلى عاصمة بلد ما في يوم بعينه وإقلاعها يتم في ساعة محددة بذاتها ... تقلع الطائرة وفي الجو عالياً يحدث فيها خلل فتنفجر وتتمزق إلى أشلاء ويحترق جميع ركّابها وأنا أحدهم. تحديدي للهدف من طيراني واختياري لساعة ويوم السفر والشركة المسؤولة عن خط طيراني ما علاقتها بما حادث للطائرة وقد حدث ما حدث وكان ممكناً أنْ لا يحدث. ما الضرورة في تحطّم الطائرة ومقتل جميع ركابها؟

إذاً، والأمثلة كثيرة جداً، لا من علاقة جدلية أو غير جدلية تربط الضرورة بالصدفة ولا هذه بتلك. أجلْ، الأمثلة لا تُعد ولا تُحصى.

قرأت ذات يوم في كتاب فلسفي جملة تقول:

الصدفة هي طريق تجلّي الضرورة ! وهذا كلام لا يختلف عن ذاك القائل: لا صدفة بدون ضرورة. أفتوني يا ناس في شأن هذه المعضلة وأريحوني.

هوامش

(1) علي الوردي، كتاب وعّاظ السلاطين، الناشر شركة بهجة المعرفة / بغداد التأريخ؟ الصفحات 218 - 219 ....

كتب علي الوردي ما يلي (يقارن بعض الباحثين بين عليّ ومعاوية فيفضلون معاوية على علي باعتبار أنهما تنافسا على الخلافة فغلب أحدهما الآخر والغالب أفضل من المغلوب في عرف هؤلاء الباحثين . لا مراء أنَّ معاوية أفضل من علي ـ هذا إذا قسنا الفضيلة بمقياس الغَلَبة والفوز في ميدان السياسة. .... إننا نظلمُ عليّاً حين نقيسه بمقياس معاوية فمعاوية رجلٌ من دهاقين السياسة ودُهاتها ولنا أنْ نفضله على غيره حسب هذا المقياس. أما عليّ فكان له مقياس آخر يختلف عن مقياس معاوية إختلافاً كبيراً .... لقد فشل عليٌّ في ميدان السياسة حقاً وهو خاسر إذاً في نظر أولئك الذين يحترفون السياسة ولا يرون في التاريخ سواها. أما في نظر أولئك الذين يعتبرون التاريخ معركة مبادئ فعليٌّ بطلٌ جبّار لا يُشقُّ له غُبار).

انتهى

تقاسيم شعرية

» قَصَائِدُ... مِنْ ذَاكَ اَلْمَكَانِ اَلْبَعِيدِ «

ايفان علي عثمان

أوديسيوس ...

بجانب ظل إطار
بمزاج حبر
على متن الثقوب المهسترة
يحوم حول
الدواية
يتعقب ثعالبي السرحانة
قدم نفسه
جدار وسط إعصار
ينظر للحواجز الزجاجية
ينتظر غربانه
أجدف
مثل الجسور التي بينها
سيجرفني
التوت الفضي
سأصير
فسحة
بينك
وبين الصور والأصوات
لن يطالني زنجارك
لست طردك
ولا
مفتاحا لاصطفاف نقوشك

ليونايدس ...

1
ما اسم
ما عمق
ما اتجاه
ما سبب
ما حجم
ما عدد
ما تعريف
ما شكل
ما شرح
ما ارتفاع
ما نوع
ما وزن
ما رقم
ما الممكن
ما المستحيل
2
طواه العالقون في النص
طالت ظلالهم عين السطر
سيحرث الطيات والسطور
سيسأل الهرة التي تخفي طريقا
عن الأثير
3
يحيط بي
مبلولا
بزيت أعوامي
4
عامي
أطلس للجانب الآخر
لصخرة
5
لتلمس
أسطرا في نار أشعلتها
أقفز نحو غبار الضباب
أترى ما هاج

أوشانكا ...

الانتقال الى
تخوم القاع
مع
تلوينات البروفة
أضحوكة اليقظة
ضارب الهزيمة
الانفصال عن
قعر متشظ
اللامنتمي الافتراضي
والحضور البثوري
في
متوازي قردي
لـ صلب اللاحبكة
الفكرة بلا
تفصيلة الغميضة

سينيكا ...

خروج
من
أحشاء المنفى المستنزف
إعادة هيكل اللون
الى
الفخ المفاجىء
بعد
حصار المتاهات
بعد
السقوط العالق
في
عقدة البعد المنشق عن نافيا
بعد
تدخل بقايا النصوص الناقصة
وأشبار التحلل الجانبي

نافيا ...

التواء المسافة
من
نقطة الموعد المتقلب
الأقرب
لـ نزاع العزلة
الحد الأقصى
لـ ظاهرة الانتظار العاثر
اللهفة المستقلة
المتشكلة من
المجهول المحسوس
سينيكا
السطر المنسدل
على الحدث النصي العاجز
مطلع المحاولة القصيرة
المتصلة بـ اللقاء المتأخر
التجربة الفعالة
لمحو الموت السابق

فرانكشتاين ...

صوت الانجراف
والرؤية
السكون الماكر
المرصوف بالجثث
علامات
أقصى الأشياء
في
مظاريف
البعد المتبادل
من
كومة النهاية
الناقل المينيمالي
لـ الواد اللاساده

---

* شاعر وكاتب

إضاءات

اسارير دوستويفسكي وموسيقيو عصره

د. إشبيليا الجبوري

ت: من اليابانية أكد الجبوري

ملخص تجريدي مبسط؛

ليس تعاونًا مباشرًا، بل تأثيرًا روحيًا قويًا؛ بالمعنى الدقيق، لم يتعاون الفيلسوف والروائي الروسي فيودور دوستويفسكي (1821-1881)() مع الموسيقيين بالمعنى العملي الذي يتعاون به كاتب الأوبرا مع الملحن أو الشاعر مع الأغاني. لم يكن، كالشاعر والكاتب المسرحي الروسي بوشكين (1799-1837)()، مصدرًا دائمًا لمواضيع الأوبرا طوال حياته. كانت علاقته بالموسيقى غير مباشرة، نفسية وروحية. ومع ذلك، كان حضوره في العالم الفني الروسي قويًا لدرجة أن العديد من موسيقيي عصره عرفوه، وقرأوا له، وأعجبوا به، ورفضوه، أو استوعبوا لاحقًا مناخه الأخلاقي.

النقطة الأهم هي: لم يُقم دوستويفسكي شراكة إبداعية منتظمة مع أي ملحن كبير. لم يكن تأثيره نابعًا من التعاون، بل من الأفكار والشخصيات والشعور بالذنب والإيمان والخطيئة والفداء ودراما الضمير الإنساني. أن شئتم.

ـ مع تشايكوفسكي: تشابه لا تعاون:

تُعدّ حالة الملحن الروسي بيوتر إليتش تشايكوفسكي (1840-1893)()، أحد رواد العصر الرومانسي، مثيرة للاهتمام بشكل خاص، إذ ينتمي كلاهما إلى نفس العالم الثقافي الروسي الواسع، ويتناولان المعاناة والشعور بالذنب والعاطفة والانكسار الداخلي. مع ذلك، لا يوجد دليل على تعاون فني حقيقي بينهما. تشير أبحاث تشايكوفسكي إلى أن كتابات دوستويفسكي ومراسلاته لا تذكر تشايكوفسكي، بل يبدو من المحتمل أن دوستويفسكي لم يسمع موسيقى الملحن الشاب قط .

يمكن مقارنتهما روحيًا، لكن لا ينبغي تقديمهما كمتعاونين. يشترك أسلوب تشايكوفسكي الغنائي التراجيدي ودراما دوستويفسكي النفسية في حدة روسية، لكن لغتيهما الفنيتين مختلفتان.() سعى تشايكوفسكي إلى التعبير عن المشاعر من خلال اللحن، والألوان الأوركسترالية، والتوتر الدرامي؛ بينما سعى دوستويفسكي إلى ذلك من خلال الحوار، والأزمة الأخلاقية، وضغط الضمير الذي يكاد لا يُطاق.

بهذا المعنى، يُعتبر تشايكوفسكي ودوستويفسكي توأمين في الروح، لا مجرد متعاونين في الواقع.()

ـ مع أنطون روبنشتاين: عالم الثقافة الروسية:

كان أنطون روبنشتاين (1829-1894)()، عازف البيانو والملحن ومؤسس معهد سانت بطرسبرغ الموسيقي، ينتمي إلى نفس النخبة الفكرية الروسية العظيمة التي انخرط فيها دوستويفسكي. كان روبنشتاين أحد أبرز الشخصيات الموسيقية في روسيا خلال القرن التاسع عشر، اشتهر كعازف بيانو وقائد أوركسترا، وأثار جدلاً كملحن ومعلم.

وهنا أيضًا، لم يكن هناك تعاون مباشر كبير. لكن روبنشتاين مثّل شيئًا مهمًا في روسيا دوستويفسكي: الثقافة الموسيقية المؤسسية، ذات الطابع الأوروبي، والقائمة على المعاهد الموسيقية في سانت بطرسبرغ. على النقيض من ذلك، كان عالم دوستويفسكي أدبيًا ودينيًا وسياسيًا ونفسيًا.() كان كلا الرجلين جزءًا من النقاش الروسي المحتدم حول أوروبا وروسيا والإيمان والهوية الوطنية ومستقبل الفن.

لم تكن عالمية روبنشتاين الموسيقية وقومية دوستويفسكي الروحية شيئًا واحدًا، لكنهما انتميا إلى نفس الساحة الثقافية.()

ـ مع موسورغسكي: روسيا المظلمة نفسها:

يُعدّ التشابه الأكثر إثارة للاهتمام مع الملحن الروسي مودست موسورغسكي (1839-1881)()، الذي كان مُجددًا للموسيقى الروسية في العصر الرومانسي وسعى جاهدًا لتحقيق هوية موسيقية روسية فريدة. لم يتعاونا، لكن عالميهما الفنيين يتلامسان بعمق. كان كلاهما مهووسًا بالروح الروسية، والخطاب الشعبي، والمعاناة، والإذلال، والانقسام الاجتماعي، والرعب الروحي.

أوبرا "بوريس غودونوف" لموسورغسكي (1872)(): قام موسورغسكي المتواضع بتكييف مسرحية بوشكين لتصبح واحدة من أشهر الأعمال وأكثرها تعقيدًا من الناحية النفسية في ذخيرة الأوبرا الروسية. لا تُعدّ هذه الأوبرا من أعمال دوستويفسكي، لكنها تنتمي إلى عالمٍ مجاور: الذنب، والهلوسة، والسلطة، والخطيئة، والناس، وانهيار الروح الإنسانية. تشترك روايات دوستويفسكي وموسيقى موسورغسكي الدرامية في صدقٍ فظٍ غير أكاديمي. لا يسعى أيٌّ منهما إلى الجمال المصقول كهدفٍ أساسي، بل كلاهما يريد الوصول إلى الجرح.

وضع دوستويفسكي الروح على المحك، ومنح موسورغسكي هذا المحك صوتًا موسيقيًا.()

ـ مع مجموعة "الحفنة العظيمة": أوجه تشابه غير مباشرة:

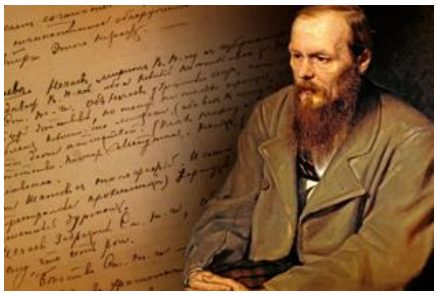

لم يكن ملحنو المدرسة القومية الروسية ـ الملحن وعازف البيانو وقائد الأوركسترا الروسي ميلي أليكسييفيتش بالاكيريف (1837-1910)()، و موسورغسكي، الملحن الروسي، وريمسكي كورساكوف (1844-1908)()، الملحن والكيميائي الرومانسي الروسي من أصول جورجية روسية، وألكسندر بورودين (1833-1887)()، والملحن والناقد الموسيقي الروسي سيزار كوي (1835-1918)() ـ من المتعاونين مع دوستويفسكي، لكنهم طرحوا أسئلة ذات صلة بلغة فنية مختلفة. ما هي روسيا؟ هل الفن الروسي يقلد أوروبا أم يعبر عن هويته الخاصة؟ هل الشعب الروسي قوة روحية؟ هل يستطيع الفن التعبير عن المعاناة دون تمجيدها؟

كانت إجابة دوستويفسكي أدبية ودينية، وإجابة موسورغسكي موسيقية ودرامية، وإجابة بورودين ملحمية، وإجابة ريمسكي كورساكوف أسطورية وأوركسترالية. لكن جميعهم شاركوا في البحث الذي جرى في القرن التاسع عشر عن فن روسي لا يستمد فقط من أوروبا الغربية.()

ـ دوستويفسكي مصدر إلهام للموسيقى اللاحقة

على الرغم من أنه لم يتعاون بشكل مباشر مع موسيقيي عصره، إلا أن دوستويفسكي أصبح فيما بعد أحد أهم المصادر الأدبية للأوبرا والفكر السيمفوني. جذبت أعماله الملحنين لما تتميز به من دراما مؤثرة. تحتوي رواياته على مشاهد تُشبه مشاهد الأوبرا: الاعتراف، المواجهة، الهذيان، القتل، المحاكمة، الرؤية الدينية، الإذلال، والخلاص.

على الرغم من أنه لم يتعاون بشكل مباشر مع موسيقيي عصره، إلا أن دوستويفسكي أصبح فيما بعد أحد أهم المصادر الأدبية للأوبرا والفكر السيمفوني. وصل تأثيره لاحقًا إلى ملحنين مثل الملحن التشيكي، ومنظر الموسيقى، وعالم الفولكلور، والكاتب، والمعلم ليوش ياناتشيك (1854-1928)()، الذي قام بتكييف أوبرا "من بيت الموتى" (1928)()، وغيرهم من ملحني القرن العشرين الذين رأوا في دوستويفسكي عالمًا دراميًا حديثًا: مجزأ، محموم، نفسي، ومتطرف أخلاقيًا.

***

أستذكار

عيد أربعينية الصيف... الذكرى 12 للإبادة الجماعية للأيزيديين فى حوض جبل شنكال

مراد سليمان علو

انتهت السنة (12) من الفرمان، وكل الدلائل والعلامات تشير وتؤكد إن أثره السلبي سيستمر إلى أجل غير معلوم، وربمّا الدليل الأول لكلامي هو عيدنا هذا (عيد أربعانية الصيف) الذي لم نحتفل بقدومه اليوم، والفرق بينه في العام الماضي، وهذه السنة.

وتأسيسا على هذا التشاؤم، إن توقف الفرمان يوما وأنتفت الحاجة لقتلنا، ونهب أموالنا، وسبي نسائنا، وخطف أولادنا. بالتأكيد سيأتي فرمان آخر يحمل بين عينيه تسلسلا أعلى.

الفرمان الآتي قد يبدأ طوفانه في (شنكال) وقراها أيضا، أو في قرى الإيزيدية في كردستان العراق، أو ربمّا في سوريا، أو في أي مكان يتواجد فيه شعبي المسكين، فبالنسبة لنا لم يعد هناك فرقا بين الأماكن، أصبحنا ندرك أخيرا إننا يجب أن نولي الأهمية للإنسان قبل أي شيء.

كلّ الوجوه القبيحة التي مرت بنا، وشاهدناها؛ سنجدهم قبالتنا في الفرمان القادم أيضا.

كلّ الأخطاء التي ارتكبناها في فرماننا هذا؛ سنرتكبها في الفرمان القادم أيضا.

كلّ الخونة الذين أعددناهم في الفرمانات الماضية؛ هم نفسهم سيحملون ألوية الفرامين القادمة.

ونحن كالعادة سنؤدي ما علينا بأقنعة ملونة ووجوه مختلفة وسنكون خير ضحايا، فماذا يمكن لفرمان قادم أن يفعله دوننا؟

ما قيمة الفرامين والكوارث والحروب دون ضحايا من أمثالنا؟

منذ الآن أفكر بأولئك الذين يجب عليهم أن يجدوا أملا، وهم يرقصون على أكتاف الموت القادم ليتشبثوا بالحياة، ويستمروا في العيش، واجد لزاما عليّ أن أنبههم بعدم الاهتمام بموعد قدوم الفرمان التالي؛ فهو قادم لا

محالة، ولا يسألوا عن كيفية مجيئه، فهو سيزحف من نفس الكهف المظلم، ولكن السؤال المهم هو:

أين ستكون الضربة؟
لأننا تعلمنا اللعبة جيدا، وبتنا نجيدها، ولا يمكن إبادتنا بعد الآن، نحن هنا وهناك، نحن في كلّ مكان.

منذ البداية نحن والفرامين نلائم بعضنا

ودائما كان هناك من ينقذنا

لأننا نؤمن بأنه سيأتي أيضا

ونؤمن بأنه سيحقق العدالة الاجتماعية

لنا ولجميع الناس

ولأننا ننتظر قدومه وهذا هو المهم

ولهذا نعمل قليلا ونحتفل كثيرا

ولهذا نطلب الخير للجميع

ولهذا نسامح الظالم إن أعتدى علينا

ولهذا نتمهل في سيرنا

لابد أن يأتي من نؤمن بمجيئه

مثلما يؤمن الشيعي بقدوم المهدي

مثلما يؤمن المسيحي بقيامة المسيح

مثلما يؤمن البوذي بوجود روح بوذا في صدره

نؤمن أيضا بمجيء شرفدين
لأنني على يقين إن روح الأيزيدياتي لا تقهر، الإيزيدي عاشق بطبعه، ومحبّ للحياة. يشبه

زهرة نيسان التي تتفتح عند قدوم الأعياد والمناسبات السعيدة، يفيض قلبه بسلام فضّي قادم من القمر عندما يكون بدرا، ينطق لسانه بكلمات أحلى من التين، تمتلئ كفيّه

الإيزيدي يجد نفسه حاجا إلى (لالش)، يتماهى مع عزف الشبابات ودق الدفوف، يؤدي رقصة السماع عكس دوران الساعة سبع مرات، ويتعمد بالماء المقدس كطفل ولد من جديد، يكافئه المكان بنبوءة التواضع فيقبّل الأرض، وقد غمس جبهته بنور الشمس.

وتمضي الفصول ويسود الصمت في أقصر ثلاثة أيام من العام، فترتفع الحكمة الإيزيدية الأزلية بطلب الخير لجميع الخلائق، يتفتق الجمال، وينفلت الشِعر، ويرافق الإيزيدي في مشواره الجديد باقات الشقائق ومجاميع الأطفال؛ لاستقبال مآتي الأيام.

ويستمر الفرمان..
وتستمر سنوات الحزن الأيزيدي.

** بدأت الإبادة الجماعية للإيزيديين في شنكال (قضاء سنجار شمال العراق) في 3 أغسطس 2014 على يد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وتُصنف كواحدة من أبشع الجرائم ضد الإنسانية في العصر الحديث.
قتل التنظيم بشكل فوري ما يقارب 5,000 شخص من النساء والرجال وشيوخ الطائفة. واختطف نحو 6,700 امرأة وطفل، حيث تم استعباد النساء جنسياً وتجنيد الأطفال قسراً.

ص ص

آراء أدبية

((كأنك تتبع سبابة ضرير ...))
الشعر العربي بين الرؤية..والرؤيا.

د. غازي هلال مخلف

حرصت القصيدة العربية الأولى على تحقيق أمر كبير الأهمية مفاده أن تكون تلك النار الملتهبة في قمة نائية تهدي ضلال الطريق اليها كلما نأت بصائرهم وأبصارهم عن تلك الجادة الصحيحة،فكانت النتيجة أن أصبحت هذه القصيدة ذلك الكون الفسيح الذي يجد فيه الباحثون بغيتهم على اختلاف مذاهبهم، فالباحث عن اللغة سيجدها حتمًا فخمة في بنية ذلك النص الشعري القديم،وكانت هذه اللغة تلك الأداة المثالية للتعبيرعن الأشكال الفنية والثقافية المتسمة بالرقي فضلًا عن صناعة مشهد قوة التأثير في المتلقي يقينًا بأن من يمتلك ناصية اللغة فهو المؤهل الأول لامتلاك ناصية المشهد وهنا نعني بذلك المشهد الأدبي الشعري،ثم كان الشاعر الأول هو الموجه الأول لأولئك المسترشدين حيث يشير بقلمه أنى شاء فيتبعه هؤلاء مطمئنين وأضحت القصيدة تلك تتناقل جيلًا بعد جيل لا بوصفها قطعة مكتوبة ووعاء للحفظ فحسب، بل بوصفها مستودعًا للأفكار والرؤى الناضجة فنيًا وكأن اللغة هنا جاءت واحدة متوحدة لا تتغاير تبعًا لتغاير فئات القراء ولم تلجىء الشاعر الى مثل هذا الشيء،وكان الشاعر مهتمًا بالكشف عن طرائق التعبير والتفكير المميزة غير آبهٍ بنتائج تلك الطرائق،فصُنِعت تلك الفلسفة الشعرية التي كانت ضرورية جدًا لصناعة ثنائية الفكرة والسياق المهمة لصناعة العدول الشعري، الأمر الذي دفع المتلقي الى التمسك بهذه القصيدة عاضًا عليها بنواجذه، كذا فإن الباحث عن المعاني والصور والمبتكرات سيجدها دونما شك في رحم تلك القصيدة كاملة النضج والاستواء، ونتيجة لتلك الأفكار والرؤى المتحدث عنها آنفًا فإن النتاجات والتجارب الشعرية القديمة قد جاءت حقيقية سليمة من الانهيار و الابتذال ، وكان الشعر والشاعر والقصيدة بعيدين كل البعد عن تهمة مجرد كونهم أصنامًا تراثية،لكننا حين ترامت بنا الأزمان وصولًا الى اليوم فإننا انتقلنا من الرؤية الى الرؤيا ، فأصبح الشعر شبيهًا بسبابة الضرير لا يدري أين يشير بها ، الى بر آمن أو الى وادٍ مهلك ، والأمر الأكثر غرابة أننا صرنا نتبع تلك السبابة حيث أشارت ونذهب خلفها عميانًا لا كالعميان على أمل الوصول المحتمل الى المبتغى ، فواجهنا في هذه الدروب المتعرجة الكثير الكثير، حيث التجديد الملتوي، والإفراط الشعري المصيب غير الشعر واللغة المتأرجحة ما بين كونها وسيلة تعبيرية تواصلية وصيرورتها غاية أصيلة ، ثم انتقلت الفلسفة الشعرية من كونها مادة للتصورات الى مادة لصناعة وتقديم وإعطاء الأحكام ،ثم وقوعها في شباك العمق الشعري المتكلف وصولًا الى تلك الجمالية المصطنعة المدعاة التي يحاول الشعراء الحداثيون إقناعنا بها على أنها ناتجة عن شعرية حقيقية نابعو من صميم الفطرة المطبوعة، وهي في أقل شؤونها لا تستحق وضعها في خانة المقارنة الشعرية مع تلك التجارب الأصيلة التي وصلتنا من ذلك الزمن إذ لا غبار على هويتها الشعرية الناضجة ، وهنا ليس لنا إلا أن نصل الى حقيقة مطلقة وإن كانت قاسية الوقع والتأثير وهي أن سبابة الضرير ليس لها إلا أن تكون تهريجية الإشارات وأن متبعها لن يكون سوى مهرج لا غير حتى وإن حاول خداع ذائقتنا النقدية بذلك العمق الرمزي المزعوم وتلك السريالية المسروقة المسلوبة من الآخرين ، وهنا سندخل دونما شك في ظلمة الرؤيا التي حتمًا ستعقبها إفاقة حقيقية لن تجد امامها سوى الحقائق المرة الصادمة ، وأن التكلف والغموض الحداثيين لن يكفيا لصناعة شاعر وشعرية حقيقيين ، كما لن يكفيا لحيازة هذا الشاعر المحدث على هوية الحصانة الأدبية والشعرية الحقيقية التي تؤهلة مطمئنًا لولوج ميدان المنافسة والمقارنة الشعرية مع الشعراء الحقيقيين السابقين وكذا المعاصرين فإننا من دون وجود حقيقي لهذا الميدان لن نتمكن من الحكم على هذا المدعي بالشاعرية من عدمها .

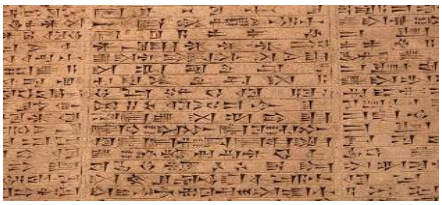

إن الهروب من مذاهب الشعر العربي وتجاوز المنظومة الشعرية الحقيقية والتمرد على سنن وقواعد وضوابط صناعة الإبداع الفني الشعري الناضج ليس له أن يصنع شاعرًا حقيقيًا مطلقًا ، لا يمكنها سوى صناعة آلة متحركة تنطق حسب أهوائها وأهواء الآخرين ولا يمكنها مجاراة الشعر العربي الموروث بأية حال من الأحوال ،

إن تلك المذاهب والمناهج النقدية والأدبية المتداولة كثيرًا في الأوساط العربية والقافزة فوق الجدران المهترئة لم تتمكن من تحقيق تلك الانتصارات المزعومة التي طالما تحدث عنها النقاد الجدد سوى أنها تمكنت من صنع تلك الفجوة العميقة بين القارىء المتلقي العربي وبين الأعمال الفنية العربية الجديدة ، الأمر الذي أفضى قراءة النص الشعري ذي الطابع العربي البحت من خلال تلبس العقلية الأدبية الغربية ذلك ما أدى الى تخلي هذا المتلقي القارىء عن قراءة النص من خلال التاريخ والاجتماع والفلسفة ثم ليلج مرحلة ما بعد النص وكل ذلك كان من تبعات تلك المؤثرات الخارجية .

إن إيغال النصوص الشعرية الجديدة في أعماق وعرة جدًا من الغموض والضبابية ورصف الكلام الى جانب الكلام لا على سبيل إنتاج معنى جديد مبتكر يوصلنا الى الشعرية ، بل فقط على سبيل إيهام المتلقي بشاعرية المدعي للشاعرية أمر خطير من شأنه الاستخفاف بعقلية ذلك القارىء الأمر الذي يصل منتهاه الى استحداث آلية الكتابة ضد الكتابة ، فلا بدَّ من احترام عقل المتلقي ومخاطبته ضمن الأطر والقواعد التي تعارف عليها القدماء فيما يخص إنتاج الشعرية الحقيقية الناضجة التي أقل حسناتها إظهار نشوة ذلك القارىء فضلًا عن المتعة الحقيقية الكامنة داخل روحه.

شعر

صَيفُ الطفولةِ

طارق الحلفي

صَيفُ الطّفولَةِ
أَطوَلُ مِن كُلِّ الفُصولِ
رَحِبًا كهَرطقَةٍ مِن لُهاثٍ
وَطَويلًا كمَداخِلِ البَهاءِ
تَنْتَهِبُنَا يَعاسيبُ أَيَّامِهِ
مِنْ بابٍ ..
شَهِيقُهُ غَضارُ مِلحٍ
وَزَفيرُ مَصاريعِهِ
شَمْسٌ مُسَوَّمَةٌ بِسَوْطٍ زَعْفَرانيٍّ
يُسْلِمُنا..
شُعْثُ حَراشِفها لِأَهلينا
سُباتَ كَلامٍ
بِقَدَمَينِ مُغْبَرّتَينِ خاضَتا في حَناجِرِ البَساتينِ
ورُكبَتَينِ تَحمِلانِ آثارَ حَمْحَمَةِ المُغامَراتِ
كُنّا..
بِتَرَفِ الخَيالِ
نَصنَعُ مِنَ العِصيِّ سُفُنًا
وَمِنَ غُرّةِ البِرَكِ
بِحارًا مِنَ ضَوضاءِ
وَمِنْ شَجَرَةِ التُّوتِ مَملَكةً لا يَدخُلها الكِبارُ
كُنّا..
نُخَبِّئُ..
حَبّاتِ التّمرِ المسروقة في جُيوبِنا
أو في زيقِ دَشاديشِنا
وَحينَ نَعودُ مِن قِشرةِ الظهيرَةِ
وَوَحْشَةِ التَّسَكّعِ
إلى ظِلِّ الجِدارِ
مُشتَعِلينَ بِالغِوايَةِ وَبأْسِ الجُلّنارِ
تَنْتَظِرُنا أُمّهاتُنا
بِالماءِ البارِدِ
وَالعِتابِ الحَنونِ
لَم نَكنْ نَعرِفُ أَسماءَ السّاعاتِ
تَحتَ بَيارِقِ الصَّفيحِ السّاخِنِ
لَكِنّنا
نَعْرِفُ مَوعِدَ الغُروبِ
مِن دَوِيِّ أوبَةِ الطُّيورِ
وَنَعْرِفُ مَوعِدَ النَّوْمِ
مِن صَوتِ الجَدّاتِ الرّخيمِ
وَهُنَّ يَجمَعْنَ مِن هَدْأَةِ اللَّيْلِ:
حِكاياتِ الحُدُودِ الخَفِيَّةِ
لِنِسَاءِ أَلفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةَ
وَحَدائِقَ مُعَلَّقَةً بِرّيشِ مُلَوَّنٍ
وَمَرايا مُدُنٍ لازَوَرْدِيَّةٍ
وَطَيشِ عِشقٍ وامِضٍ فينا

وَالآن
الآن
كُلَّما جاءَ الصَّيفُ
أَبحَثُ عَن ذلِكَ الطِّفلِ فيَّ!
أَجِدُهُ..
أَحيانًا
في رَائِحَةِ التّرابِ
أَو
في
طَعْمِ فَاكِهَةٍ ناضِجَةٍ
يُلَوِّحُ
لي مِن بَعيدٍ
ثُمَّ
يَرْكضُ ضاحِكًا
وَراءَ
فَراشَةٍ
لا
تَشيخ

«أسوار بلا أبواب»

سينو إبراهيم

-1
(عيد الحب)
لا الزوج حاضرٌ
كي يهدي لزوجته وردة
و لا للزوج قبر
كي تضع هي وردة عليه!

-2
(هناك و هنا)
الذين هناك ينسون وجع الغربة بعطرك
نحن هنا بحاجة لنسخة ثانية منك
ننسى بعطرها أوجاع الوطن

-3
(ركيزة الألم)
قال والدموع تبتسم بحزن
وهي تنجو من عينيه المظلمتين بالكآبة
يا الله كان بإمكانك أن تأخذ عينًا من عينيّ
أو يدًا من يدي أو ما تشاء
لكن لِمَ القدم؟
كيف لجسدٍ أثقله الألم أن يقف على قدمٍ واحدة؟
إنها لا تكفي لتكون دعامة لهذا الخراب الداخلي.

-4
(طفولة على الرصيف)

في طفولته لم يكن كغيره من الأطفال
لم يعرف طَعمَ الدراجة ولا لهو الكرة ولا حلاوة الألعاب
كان يعين عائلته منذ نعومة أظافره
صار حمالاً راعياً وبائعاً على أرصفة الطرق
و غير ذلك كثير
كان طفلاً لكنه عاش كعاملٍ كبير
وربما لهذا ظنّ عزرائيل أن الشيخوخة سبقته
فأخذ روحه حين بلغ الخامسة عشرة
ظناً منه أن الطفل قد شاخ!

مراجعات

مراجعة كتاب *: « البقايا ـ جاك دريدا »
نص تعليق/ بليشيت دي أرميت ، كاس سغافيا

(3)

شعوب الجبوري

ت: من الألمانية أكد الجبوري

يُؤرّخ تصنيف الجزء الثاني - بشكل صحيح، وإن كان تعسفيًا إلى حد كبير - "ظهور مفهوم البقاء" إلى السنوات المحيطة بـ"سياق الحدث المميز" (أغسطس 1971)()، و"ملحق الاقتران" (ديسمبر 1971)()، و"العمل الخارجي" لكتاب "الانتشار" (1972)(). بعد إشارة موجزة إلى "في علم الكتابة". انطلاقًا من كتاب "1967"() كخلفية، يعتمد سغافي بشكل كبير على الكتابات التي تلت "نذير الموت" أو "نذير الاحتضار"، و"المحاكاة الاقتصادية" (1975)()، و"من أجل". ورغم أن هذه النصوص من بين النصوص المذكورة في كل من حلقات "المذود" و"حدود الهضم"، فإن مثل هذا العرض قد يُوحي بأن دريدا لم يبدأ بالتفكير في النطاق الصحيح لمفهوم (عدم) الراحة قبل عام 1971(). في الواقع، تمتد جذور هذا المفهوم عبر التحليل الزمني الهوسرلي، وبالتالي على الأقل إلى كتاب "مشكلة التكوين" (1953-1954)(). ولعل إقرار دريدا نفسه بهذه الحقيقة لا يظهر بوضوح أكثر من كتابه "الأكل الجيد"()، الصفحات 263-270. ليس الأمر مجرد تدقيق زمني، بل إن المسألة المطروحة هنا هي مسألة الأصل المفاهيمي الحقيقي. لم يُصاغ مفهوم الراحة في فراغ؛ بل هو أحد أركان استجابتين لغويتين جديدتين على الأقل لتلقي الفرنسيين للفيلسوف الألماني هايدغر (1889-1976)()، وتحديدًا لترجمة جيلبرت كاهون (1928-2010)()، أستاذ العلوم السياسية في جامعة كين، لمصطلح "الوجود" الهايدغري بـ"البقايا"() (انظر، على وجه الخصوص، هايدغر: مسألة الوجود والتاريخ(). فـي كتاب كاهون "مـقدمة فـي الميتافيزيقا" (1958)()، يشير مصطلح "البقايا" إلى "الجوهر" اللفظي الذي يسمح، بالنسبة لهايدغر، لتاريخية الوجود (وجودًا؛ بقايا) بأن لا تخضع للحاضر الزمني الذري النقطي، ولا لـ"الوجود المطلق" للوجود الظاهري للوعي. بدلاً من ذلك، وكما قال دريدا، فإن حياة الوجود (وجودًا) تُشير إلى "حالة وجود لا تتخذ شكل الوعي"(). وعندما يتساءل كتاب "البقايا" لاحقاً عما إذا كان البقاء "ربما لم يعد نوعاً من، أو تعديلاً، أو "وجوداً" (من الفعل، كما يُترجم أحياناً "الوجود"، أي الطبيعة)"()، فإن دريدا يُلمّح تحديداً إلى هذا الأصل.

إن إصدار عملة مصاحبة لعملية إعادة التمويل يجعل الدين واضحاً لا لبس فيه. في مقدمة كتاب لاكو-لابارث "الطباعة" (1989)()، يقدم دريدا مفهوم "المقاومة"، الذي استُحضر أيضًا في "الأكل الجيد"()، باعتباره شكلاً "يستدعي وجودًا "غير الوجود" (غير "الجسيم الناتج")" - "الجسيم أو الموقف" () - "والذي لن يكون "هايدغريًا" ولا "ليفيناسيًا"(). إن مقاومة هذه الصيغة لكل من مفهوم "الوجود" عند هايدغر ومفهوم "غير الوجود أو ما وراء الجوهر" عند ليفيناس (1974)()، والذي يُعدّ في حد ذاته طعنًا في نموذج التاريخ اللفظي للوجود (عن طريق "جوهر" لفظي ربما يكون مشابهًا جدًا)، يضع اللاموقف في موقع سابق ولاحق لهذين المفهومين. ومثل المقاومة التي تلتها، يجب تعريف الموقف من خلال موقعه. داخل أفق هايدغر-ليفيناسيا وضده، وهو أفق يبقى ببساطة سياقه غير القابل للاختزال. فبينما يُحوّل التنازل الأثر نحو أسبقية "تتخلى (عن نفسها) عن أي تكوين أو جوهر"()، يُحوّله الثبات نحو البقاء - بقاء العلامة في الغياب، أو البقايا البنيوية لأثر قابل للقراءة دون مُرسِل أو مُشار إليه أو نية. كلاهما انعكاسان مزدوجان لعبارة "بخلاف الثبات"، ولا يمكن قراءة أي منهما بالكامل بدونه؛ لأنه معًا (على الرغم من أن هذه الابتكارات المصطلحية ليست الوحيدة في هذا)، فإن هذا الاستكشاف اللغوي الجديد لـ "ما وراء الوجود والعدم" () يدّعي "موقعًا ثالثًا" فوق أو قبل الجوهر الثابت (باعتباره حضورًا ساذجًا)، أو الثبات اللفظي أو"الطبيعة"(باعتبارها تاريخية أو نشأة)، وعـائلة"التاريخية" اليونانية

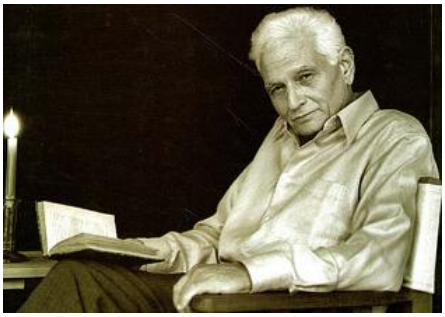

واللاتينية بأكملها التي تمنح الوجود... الاستقرار واليقين و"الذاتية" و"الموضوعية" قبل الاستدعاء(). وبالتالي، تتخذ المقاومة نفس نوع الصلة التي تداخلت فيها كلمة "الأرتماء"() في سياق آخر بين "قوة الحركة التي تقذف شيئًا ما أو تقذف نفسها (تقذف أو تقذف نفسها)) إلى الأمام والخلف في آنٍ واحد، قبل أي ذات أو موضوع أو مشروع، قبل أي رفض أو نبذ" - و"ترسيخها المؤسسي والإسقاطي.()"

قد يبدو الادعاء بأن الجزء المتبقي شبه الغائب أو المنسي تقريبًا من كتاب" البقايا" يقع في الخلفية الظاهراتية للنص مجرد تحيز شخصي من جانب المراجع. ويهدف هذا التحيز المُعترف به إلى استمالة قراء دريدا الذين يشعرون اليوم بضرورة الدفاع عن مكانته كمساهم دقيق للغاية في التطوير المنهجي للظاهراتية.() كان بإمكان المرء أيضاً أن يبحث عما يتوافق مع السياسة أو التعليم أو المسيانية. ومع ذلك، تبقى الحقيقة أن التعليق الذي يغفل عن الخلفية الهوسرلية والهايدغرية والليفيناسية الواسعة لحركة الصمود، أو الخلفية المتعالية الظاهراتية والوجودية الأساسية والأخلاقية الوجودية، سيبدو في بعض الأحيان، بالتالي، بمثابة تحريف جوهري للمساحة التي نشأت فيها حركة الصمود.

كما يصرح دريدا صراحةً في كتابه "حدود الهضم:()"

"لقد ازداد اهتمامي بالحدود الفلسفية بين الإنسان والحيوان، والتي تُعدّ بدورها دراسةً للحدود التقليدية بين الثقافة والطبيعة. وقد اخترتُ معالجة هذه المسألة من خلال

تتمة ص التالية

المفكرين الذين يبدو أنهم شككوا في اكتفاء النزعة الإنسانية ذاتيًا بعمقٍ كبير: هايدغر وليفيناس. فعلى الرغم من نقدهم للمفهوم التقليدي للذات، إلا أنهم يظلون إنسانيين بإصرارهم على التمييز المطلق بين الإنسان والحيوان. إن ترسيخ مكانة الإنسان المتميزة يتطلب التضحية بالحيوانات وافتراسها. حتى ليفيناس نفسه غير مستعد للتضحية. ... [لقد حلل هايدغر بالفعل] فكرة الذات الداخلية. لكن الفرق نفسه بين ما هو خاص بالفرد وما هو غريب عنه يبقى قائمًا - فالفهم لا يزال استيعابًا. ... هنا، كما هو الحال دائمًا، تقوم النزعة الإنسانية على التضحية بالحيوان، على الابتلاع الضمني للحيوان"().

"ليفيناس، أكثر من أي شخص آخر." أكد دريدا، في سياق آخر، على استحالة الوصول إلى الآخر. لا يمكن فهم الآخر كحضور، بل فقط من خلال مفاهيم مثل الآثار والخارجية. لقد قطع صلته تمامًا بالميتافيزيقا الظاهراتية للحضور - لا يمكن فهم الآخر من خلال فعل نظري، بل فقط من خلال المسؤولية الأخلاقية: أنا أتحمل مسؤولية الآخر. لكن هذه المسؤولية تنطبق فقط على الإنسان الآخر - تقوم إنسانية ليفيناس على استبعاد الحيوان، تمامًا كما هو الحال عند هايدغر. الوصية التوراتية "لا تقتل" تنطبق على البشر، لكنها تستثني الحيوانات. تقوم ثقافتنا على بنية التضحية. نحن جميعًا متورطون في أكل اللحم - حقيقيًا كان أم رمزيًا() .

كان دريدا واضحًا بنفس القدر قبل ذلك بعامين خلال مقابلة نانسي بعنوان "الأكل الجيد، أو حساب الذات"() - والتي استشهد بها سغافي أيضًا لكنه لم يشدد عليها(). في سياقٍ استطرادي قاطعته نانسي للأسف، أوضح دريدا أن "الثقافة الهندوسية... ربما تمثل التأكيد الأكثر دقةً وحسمًا" لمنطق التضحية(). ويرى دريدا أن الأسئلة التي يبحثها "تهيمن عليها" "مفاهيم موروثة من هذه الميتافيزيقا أو الأنطولوجيات اللاهوتية"، وهو إطار موجود في المجالات الدينية والإثنولوجية التي بدورها تحدد "طريقتي التفكير في التجاوز" اللتين طورهما هايدغر وليفيناس، وهو المجال "الذي ظهرت فيه هذه الأفكار"(). وكان السؤال المطروح فـي هـذا السياق هـو مـــا إذا كانت الحيوانات، بالنسبة لهايدغر وليفيناس، تُصنَّف على التوالي كـ"دازاين" أو "آخر". لكن إشكالية اعتبار الحيوان مرادفًا للآخر لا تنعكس فقط في الفلسفات الوجودية الغربية، بل أيضًا في التسلسل الهرمي السياسي للبراهمة - أو ممارسة السلطة - والتسلسل الهرمي الديني، حيث يحظر الأخير أكل اللحوم، بينما يسمح الأول بذلك، بل ويفرضه على نفسه (). إن ما يُدرج أو يُستبعد كأساس للفئة الوجودية الكبرى، أو ما يُحدد ما هو صالح للأكل أو غير صالح له في مجتمع نباتي ثقافيًا ولكنه يمارس أكل اللحوم طقوسيًا، يُظهر نفسه كعلامة على هذا المنطق التضحوي العالمي.

في هذا السياق، تبدو "البقايا" وكأنها استئناف لخيط توقف عام 1988()، أو مرة أخرى خلال العودة إلى مالامود في ندوة "المذود". يستأنف دريدا حديثه من حيث توقف في منتصف الجملة حول كهنة البراهمة، ومحاربي الكشاتريا، ونظام الطبقات الاجتماعية (فارنا)، وأكل اللحوم (). إلا أن افتراض دريدا للتجانس بين التضحية البراهمية والوجودية اللاهوتية الظاهراتية يعتمد على المعالجات الظاهراتية الوجودية اللاهوتية الظاهراتية لنظرية هايدغر وليفيناس عن الآخرية الحيوانية والتضحية - وهي تحليلات يتجاهلها تعليق سغافي تمامًا تقريبًا. مع أن هذا المجلد لا يزال يُبرز العلاقة بين البقايا و"الوجودية اللاهوتية الظاهراتية"، فإن أي قارئ يتساءل عن مآل انخراط دريدا الطويل في الظاهراتية الكلاسيكية سيُدفع إلى التساؤل عما إذا كانت معالجة سغافي، في هذا المحور تحديدًا، غير كافية.

وبالتحديد، يبرز هذا الخيط المفقود لأن سغافي قد جمع ببراعة بقية النصوص ذات الصلة. مع ذلك، فإنه محقٌّ في عدم ادعائه الشمولية الساذجة. تُعدّ المادة الملامودية-الفيدية إضافةً قيّمةً وفريدةً لدراسات دريدا في العالم الناطق بالإنجليزية، وما يجده أي قارئ "غير مُرضٍ" يعتمد كليًا على ما يتوق إليه. ومع ذلك، فإنّ التعليق على البقايا، أكثر من غيره، قد يُنظر إليه بحق على أنه يواجه مصير بقاياه الخاصة - وهناك عدالةٌ خفيةٌ في حقيقة أن المنطق الذي يشرحه هذا المجلد ببراعة هو المنطق الذي يُمكن من خلاله أخيرًا تحديد ما تبقى منه.

لا يعني هذا أن سغافي يتجاهل تمامًا العلاقة بين الباقي والوجود. ثمة مثالان نادران وغنيان بالمعلومات جديران بالذكر. فعند إدراج كتاب "الأثر والأرشيف" الصادر عام 2002()، على سبيل المثال، ورد أن مفهوم "الباقي" عند دريدا اعتُبر "محاولة صريحة لتمييزه عن الوجود"(). وبحسب سغافي، يؤكد دريدا هنا "مجددًا أن الباقي ليس تعديلًا للوجود بمعنى الجوهر أو المادة أو الوجود... يبقى الأثر، إذن، ولكنه ليس هو... إن مسألة الباقي، الباقي من الأثر ، يتجاوز كل وجود" (). يُقدّم مثالٌ مماثلٌ لا لبس فيه إشارةٌ مطوّلةٌ إلى نصٍّ نادرٍ وغير مترجمٍ بالمثل، وهو "الآخرية" (1986)(). وبالعودة، كما يُقرّ سغافي، إلى بلانشو، ولكن أيضًا بشكلٍ واضح إلى ليفيناس في "أثر الآخر" (1963)() و"بخلاف الوجود" (1974)()، يُخبرنا النصّ بأنّ معالجة دريدا العامة لـ"الاقتصاد" تنطوي على ما أسماه هناك "المفارقة"، أي العلاقة بلا علاقة، وهي تحديدًا "علاقة انقطاع. لكن هذا الانقطاع لا يقطع العلاقة بالآخر، بل يفتحها"(). "وفقًا لهذه الوساطة، أُدرك حركة العلاقة بالآخر"، ما يُسمّيه دريدا علاقةً بلا علاقة "تُدرك الآخر كآخر في علاقةٍ مُعيّنةٍ من عدم الفهم"، استنادًا إلى الشرط الدائم بأن "يبقى الآخر آخر". يقول دريدا(): "إنها نفس الغيرية؛ فالثقافة هي الطبيعة المؤجلة/المختلفة، والروح هي الطبيعة المؤجلة/المختلفة، والتاريخ هو الطبيعة المؤجلة/المختلفة - في هذه اللحظة يكون المرء في حالة اقتصاد."() هذه ليست تصريحات متاحة على نطاق واسع حتى بين جمهوره الناطق بالفرنسية؛ ولكن فيما يتعلق بالمشروع الحالي، فإن استخدام هذا الاستنباط الأوسع للأنطولوجيا هنا كجزء من شرح "اقتصاد التضحية" يُعد إضافة فريدة ومرحب بها بشكل استثنائي لمسألة الباقي باعتباره "ثقافيًا قبليًا."

لا يعني هذا أن سغافي يتجاهل تمامًا العلاقة بين الباقي والوجود. ثمة مثالان نادران وغنيان بالمعلومات جديران بالذكر. فعند إدراج كتاب "الأثر والأرشيف" الصادر عام 2002()، على سبيل المثال، ورد أن مفهوم "الباقي" عند دريدا اعتُبر "محاولة صريحة لتمييزه عن الوجود"(). وبحسب سغافي، يؤكد دريدا هنا "مجددًا أن الباقي ليس تعديلًا للوجود بمعنى الجوهر أو المادة أو الوجود...

يتبع في العدد القادم

”أسئلة العلم مفتوحة بحجم فضاء الحياة “ «بين الأنثروبولوجيا والفنون الشعبية»

أ.د.تيسير الآلوسي*

أسئلة العلم مفتوحة بحجم فضاء الحياة ومحاولات الإنسان إدراك قوانينها واكتناه أسرارها أو ما بقي عصيا عليها.. وفي طريق البحث العلمي واسئلته أنتج وينتج الإنسان ثقافة تعبر عن تطلعاته بحياة مؤنسنة تتكفل بصنع جماليات تنتمي إليه وفي ذات الوقت إدراك قوانين هذا الإنتاج الفكري الثقافي المعرفي.. مثلما إدراك ما يعنيه بمسيرة الإنسان والحضارة التي أوجدها ومازال يحيا بتنميتها وتطويرها وتلبية متغيراتها بتفاعل بينه (أي بين الإنسان فردياً جمعياً) وبين محيطه البيئي الطبيعي والمجتمعي .. ولعل من أبرز منجزات هذا الإنسان عاداته وتقاليده وإرثه الثقافي وفيه الفنون الشعبية بعناصرها الجمالية والموضوعية.. فكيف تنتمي الفنون الشعبية موضوعاً إلى الأنثروبولوجيا؟ وكيف تتعمد بين الفني والعلمي وحدة الانتماء والتناول والمعالجة؟؟؟ هنا مقترح معرفي ثقافي قد لا يكون في صميم دقة التخصص معرفيا علميا ولكن المعالجة هذه تؤمن وتعتقد بقدرتها على إثارة الحوار المفتوح فمرحبا وأهلا وسهلا.

بين الأنثروبولوجيا والفنون الشعبية:

الفنون الشعبية ليست حالا من الانعكاسات الآلية لتعبيرات فنية جمالية بلا معنى أو بحدود إبداعية بلا صلات عميقة بالإنسان ووجوده وبالهويات الثقافية المنسجمة مع الجذور ومنطق التراث ومنجزه ومع خصائص اليوم العادي للإنسان فرديا جمعيا في إطار هوية مجتمعية بعينها.. من هنا فإن الفنون الشعبية تعبير جمالي تحكمه تمظهرات سلالة وانتماء ثقافي يمكن إخضاعه للدرس المعرفي العلمي ومنهجه تنويراً للعقل وخطى الاشتغال فنيـــا جماليا ومعرفيا علميا.. فكيف نقرأ ذلك وبحدود اي العلوم وما العلاقة الضمنية الجوهرية بين العلم والمنجز الجمالي الفني؟ هذه محاولة إجابة تثير فرص الحوار أكثر منها الحسم التحليلي النهائي فأهلا وسهلا بكل الأصوات

https://www.somerian-slates.com/2021/11/01/12987/

برجاء التمعن في محاور المعالجة لقراءة التفاصيل والتفاعل بأطر جمالية فنية و\أو نقدية معرفية علمية.. مرحى بالجميع.

هذه القراءة إجابة عن موقف علمي معرفي بالخصوص والتساؤل: هل بالفعل يعود أصل الفنون الشعبية ودراستها إلى دراسات الأنثروبولوجيا؟ وهو ما يستدعي قراءة تاريخ العلم منذ تعزز وجوده في منتصف القرن التاسع عشر بعد سلسلة سابقة من المساهمات وكذلك أبعد منه يوم بات بإقرار أكاديمي علما مستقلا لجملة ميادين تتحد في القراءة والتناول لتصب في مخرجات فهم الإنسان سلالةً، بوجود منفعل متأثر ببيئته ومحيطه مؤثراً فيها، يطبعها بهوية مخصوصة على وفق تعددية المنحدرات الحضارية وتكوينية الإنسان واستدعاءات سمات كل سلالة ومنجزها..

كما لابد لي بالمناسبة من **توكيد دور الفنون الشعبية في تجسيد حراك ثقافي ينطبع بالهوية ويجسدها في امتداها تاريخيا نحو الجذور وجغرافيا في امتداد وجود وطن ثقافة مجتمعية** تخص سلالة أو حضارة أو انتماء لا ينقطع بالضرورة عن تجاور الوجود الإنساني بمجمله بل يكرسه ويثبّته، الأمر الذي يرد على كل أشكال قمع مسيرة مَنهجَةٍ حتميةٍ، تقوم على استثمار العقل العلمي ومنطق فعله وإنتاجه.

بإبداع جماليات الفن وتجسيد تطلعات الإنسان للعيش بفضاء سلام وحركة تقدم وتنمية.. واي محاولة لتهشيم أو تهميش تلك العلاقة هي تفريغ من معاني الأنسنة والرقي بها وتقييد الإنسان لمنطق يعيده لجغرافيا التخلف ومصادرة قيمه السمى.

وبغية التحقق من العلاقة العلمية بين هذا العلم (الأنثروبولوجيا) وأحد أفرعه وميادينه (الفنون الشعبية)، أقول هنا: إنَّ الأنثروبولوجي بلفظه المستقى من اليونانية إنّما يؤكد العلم الذي يدرس الإنسان والأنسنة.. إذن، فالأنثروبولوجيا بهذا الأصل اللغوي المعبر بموضوعية؛ هو علم logos يتخصص بدراسة الإنسان Anthropos وبهذا فإنَّه علم الإنسان وصنع الحضارات وإشادة المجتمعات البشريّة، ومن ثَمَّ ما يتبحر في سلوكيّات (الإنسان) وأعماله ومنجزه الذي يتأتى من طابعه بوصفه كائناً جماعي الوجود والاشتغال الأمر الذي يتناوله مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة.

ومن أجل توفير قناعة باتساع الأنثروبولوجيا لمعطيات (ثقافية) لابد من تذكر أنّ هذا العلم، أي علم الإنسان، ينقسم على عدد من الأقسام كما يشير دارسوه. أولها: الطبيعيّة المرتبطة مباشرة بمناهج الكليات الطبية وتخصص علومها الإحيائية الطبيعية، مثل: الفيسيولوجي والأنتومي أو علم التشريح، بما يركز على مقاييس جسم الإنسان مروراً ببنيته واستفادة من جراحة تشريحية كما يقرأها العلم اليوم بدقة...

أما القسم الأنثروبولوجي في كليّات العلوم الاجتماعيّة فإنّه يتناول الإنسان بوصفه السلالة الحية في الأرض، بكل تفاصيل تميزه عن بقية الكائنات التي تشاركه الحياة على سطح الكوكب كما بانتصاب سيره وطريقة استعمال يديه وقدميه، والأهم والأبرز قدرة التعبير والإدراك والتفكير والكلام الأمر الذي يجعل هذا العلم بأقسام التخصص السوسيولوجي تبحث في متغيرات تطوّره، وسبل تكاثره وعيشه، كما

---

* أستاذ الأدب المسرحي

تتمة ص التالية

يدفع هذا العلم لدراسة وجود الإنسان بين المجتمعات البدائيّة بمقابل الأخرى المعاصرة وما وصل إليه فيها من تنوع واختلاف، فردياً جمعياً حيث التشكيلات الاقتصااجتماعية ومنظومة الطبقات والتعبير الفكري السياسي عنها والآثار الإيكولوجية عليها ولابد هنا من التأكيد على أن الدراسات ركزت وتركز على الجوانب الوظائفية وتبادلها التأثير ومخرجات إدارة تلكم الشؤون..

بها نحو أفضل منجزاتها الجمالية المؤثرة بحيواتنا

إنَّ هذا المنعطف في توسيع قراءات الأنثروبولوجيا لتتبحر في آليات خلق الوحدة في النُظُم الاجتماعية واستقراء معاني تأثيراتها على السلالة وحاجتها لاستطلاع منجزها الثقافي وقدرته على البقاء والتوارث ليس من بوابة التاريخ بل من بوابة استكشاف الطابع والهوية الحضارية بمفردات الجماعات البدائية ومجتمعاتها وما استخدمت من أدوات عيش وما عبّرت عنه من فكر أو رؤى وضعتها أو صبتها وصاغتها في أساطيرها أو آدابها وفنونها وفي عاداتها وتقاليدها ولقد دفع هذا القسم من الأنثروبولوجيا لدراسة متعمقة فيها، فكانت موضوعات دراسة الفنون الشعبية جوهرة ثقافية حضارية في قراءة هوية الشعوب وامتداد تراثها من منطقة تواصله واستمراريته إلى الجذور والمراحل البدائية وانعكاساتها التي أورثتها بتأثير جدي ملموس طبع تلك الهوية ومنجزها المخصوص بهذا الميدان..

أؤكد هنا على حقيقة أنّ الإبداع الثقافي وحصراً في ذاك الممتد نحو الجذور بعمق القرون المنصرمة بتلك البداية في قراءة الأدب والفن البدائيين، إنما يتواصل ويستمر ليكشف لنا اليوم، عن درجة ارتباطه بوظائف عميقة مهمة في بنية المجتمع الحديث حيث تتجسد الرموز والدلالات الأنثروبولوجية لمفرداته العائدة إلى معطيات الهوية المنحدرة من تلك الأصول البدائية.

هوية التمدن والتحضر، من دونه نتراجع إلى حيث انطفاء أنوار ميادين الحياة نفسها لا مسارح الصالات فقط. من هنا بات لزاماً العناية بحق بمنجز الفنون الشعبية وربطها بموضوعات المجتمعات التي تتجسد في جماليات اشتغالها وهو الأمر الذي يتأتى من الربط بالدرس العلمي وقدرات تحريكه وتفعيله نهج الإبداع ومساراته المتنوعة بتنوع الحيوات البشرية.

ومن أجل تفعيل الرؤية التي ترى وضع الفنون الشعبية في الأنثروبولوجيا، بوصفها جوهرا من جواهر الثقافة ومنطق الانعكاس الحضاري فيها، بات واجبا ولادة قسم يدرس الجوانب التطبيقية لكل أقسام دراسة علم الإنسان التي وردت معنا ومخرجاتها ومعطياتها ومن ثمّ آثارها وانعكاساتها الراهنة؛ بما اشتمل على ميادين اقتصااجتماعية، وسايكوسوسيولوجية وطبية وأيضاً مدت ميدانها نحو التربية والتعليم وعلم السكان والتحضّر وضمنا الآداب والفنون وبتفرعها الأعمق نشير هنا إلى الفنون الشعبية تحديداً كما يرد في عنوان قراءتنا..

إنّ ذلك الفعل المعرفي العلمي ينتمي للبحث في الارتباطات والعلاقات المولودة برحم تلك الدراسات كما العلاقة ذات الأولوية والأسبقية بين الأنثروبولوجيا والفنون الشعبية وقبلها حتماً بين الأنثروبولوجيا والثقافة والتحضر بصورة أعمّ بما يقرأ سجل الحضارة وتاريخها أو الأثنولوجي وبموازاتها ما يقرأ سجل الأمم والشعوب البائدة أو الحضارات المنقرضة عبر منجزها أو آثارها الباقية كما يشير علم الآثار (الأركيولوجي) لكننا مجدداً وفي ضوء تأكيد العلاقة الوطيدة بنيوياً بين الأنثروبولوجيا والفنون الشعبية نشدد على أهمية الإمعان بقراءة سجل الفنون الشعبية من منطلق الإنجاز الراهني القائم على استدعاء منظومة قيمية اجتماعية تدرسها سوسيولوجيا قوانين يجسدها علم الإنسان بأحد بوابته الأهم لتشخيص هذا العلم وفحوى مواده..

لابد لي أن أشير إلى تعدد المدارس والعلماء الذين بحثوا في هذا العلم وأثروا، أو أغنوا مواده ومعالجاته منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتى يومنا الأمر الذي جعل منه العلم الذي يعكس حجم توجه الإنسان لقراءة مسيرة تطوره وطابع وجوده الأول كما تكشف الحفريات من جهة وسجلات أو وثائق ما قبل التاريخ المدون ثم ولادة السلالة التي أقامت أولى تشكيلات القبائل والشعوب ومنحتها فرص إنتاج هويتها الطبيعية والاجتماعية وانعكاسات كل ذلك في ولادة سلالة التحضّر والتمدن وإنجاز الإبداع الجمالي المخصوص المستقل وكيف تم توارثه وتناقله ليظهر الإنسان الذي سجل وجوده ومدنيته أو حضارته وخصائصها..

إن وجود الفنون الشعبية ليس مجرد إنجازات عارضة ابنة حال فردي لمبدع أو آخر، وهي ليست مـمـــــا يقبل قمعاً بالازدراء والتهميش

والتفريغ من المعاني العميقة السامية؛ ولكنها (أي الفنون الشعبية) تمثل سجل الوجود الجمعي للإنسان واشتراكه في استيلاد هوية مخصوصة تعبر عن ثقافة سلالة أو أخرى وتشير إلى موروثها وتداوله ومن ثمّ لدراسة الأمور بمنطق أو بنهج علمي دقيق التوصيف، موضوعي التحليل بما يعود باستمرار لهذا العلم ومفردات منهجه المتكاملة المتحدة..

وإذا كانت قراءتي لا تستطيع الاتساع لمجمل مفردات العلم، بما عرضته هنا وهي ايضاً لا تدعي التخصص الدقيق إلا أنها تزعم التمسك بخطاب معرفي علمي باتساع التعميم والمعالجة الإطارية الأعم تلك التي تخدم استثارة (حوار) يؤكد العلاقة الجدلية بين علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) والفنون الشعبية، الفولكلورية العمق والانعكاس لما يتوافر من أداء ووظائف تعالج الموضوع الأساس الممثل لجوهريهما عندما نتحدث عن استقلالية كل منحى معرفي منهما ولكنه في الوقت ذاته المجسّد لوجود واحد عندما نتحدث لا عن علاقة أو ارتباط خارجي، بل عن قراءة فعلية لمادة بعينها هي العلم الذي نحن بصدد الاشتغال عليه..

علينا دائما، ونحن ندرس الإنسان داخليا خارجيا، منع الفصل بين الكينونتين لأن ذلك سيشوه الوجود البحثي المنطقي القائم على تعريفهما بوصفهما أقسام (متكاملة متفاعلة في تجاورها) في نطاق أو في إطار وحدة ميادينها بعلم واحد هو الأنثروبولوجيا..

وعلينا باستمرار الاستناد إلى العمق العلمي في قراءة الفنون الشعبية بجمالياتها وبهوية خطابها التجريدية التي تمنحنا دلالات بهية في قراءة وجودنا فرديا جمعيا بما يحيلنا للإنسان بوجوده المجتمعي وحراكه الجمعي بانفتاح يحمل الأنسنة بعد كل ذاك التاريخ لتطور سلالته ما لا يسمح بمصادرته تحت أيّ ذريعة أو تبرير وما لا يخرجه من أطر قراءة العقل العلمي بكل ميادين الاشتغال..

سينما

"الشيوعي" فيلم وثائقي يسرد حكاية آخر رئيس لجمهورية المانيا الديمقراطية

الفيلم الوثائقي "كومونيست" من إخراج " لوتز بيهنرت" عرض الفيلم في مهرجان الفن السينمائي في شفيرين، يتناول الفيلم الوثائقي حكاية الشيوعي" إيغون كرينز" في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وكان العرض الأول للفيلم كومنيست في 8 مايو 2026، في "ذكرى تحرير ألمانيا من النظام النازي ." إيغون كرينز" كان رئيس الحزب الديمقراطي الديمقراطي، والأمين العام للحزب الاشتراكي الديمقراطي وأخيرا رئيس مجلس الدولة. نادرا ما كان لدى أي شخص آخر في الدائرة القيادية الداخلية للحزب الاشتراكي مثل هذه المسيرة الحزبية. وفي هذه الأثناء، عاش إيغون كرينز في جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ فترة عضويته في الحزب الاشتراكي الاشتراكي الديمقراطي - حوالي 35 عاما. بعض الأفلام الوثائقية تحاول شرح الشخصيات التاريخية. في حين يريد آخرون تصنيفهاوتحديد موقف منها. ينتقل فيلم لوتز بينرت " الشيوعي " بين الادعاءين – ولهذا السبب تحديدا، يدخل في مجال من التوتر يجعل الفيلم مثيرا للاهتمام بقدر ما هو مثير للجدل. يرافق المخرج رئيس الدولة السابق لجمهورية ألمانيا الديمقراطية " إيغون كرينز " في حياته الحالية على بحر البلطيق، ويتتبع طريقه ليصبح آخر رئيس دولة وحزب في جمهورية ألمانيا الديمقراطية بناء على المحادثات والمواد الأرشيفية والذكريات الشخصية. والنتيجة هي صورة لرجل لا يزال متمسكا بقناعاته السياسية اليوم ويقيم دوره في التاريخ بشكل مختلف عن العديد من منتقديه .

شخصية رئيسية مثيرة للجدل

"إيغون كرينز" هو أحد أولئك الفاعلين السياسيين الذين يرتبط اسمهم ارتباطا وثيقا بنهاية جمهورية ألمانيا الديمقراطية. وبـصفته خليفة " إريك هونيكر " ، كان على رأس الدولة لبضعة أسابيع فقط قبل أن تجرف أحداث خريف 1989 النظام السياسي. حقيقة أن المخرج بيهنرت أهدى فيلمه الوثائقي لهذه الشخصية، من بين الجميع . لا يظهر الفيلم في المقام الأول كرينز كشخصية تاريخية، بل كشخص في اللحظة الحالية. خلال المشي، والقراءات، والمحادثات، لا يظهر كرينز كشخصية رمزية أو كليشيه سياسي، بل كشخص لا يزال يكافح لتفسير حياته الخاصة .إن هذا التركيز على الحاضر بالذات هو ما يمنح الفيلم قرب ملحوظ . "إيجون كرينز" الذي كان سابقا مسؤولا رفيع المستوى في الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وموضع ثقة" إريك هونيكر"، آخر رئيس لمجلس الدولة في ألمانيا الشرقية، كتب العديد من المؤلفات والمقالات ، بما في ذلك ثلاثة مجلدات من السيرة الذاتية، لوصف حياته ورؤيته لجمهورية ألمانيا الديمقراطية المنحلة ومشروعها للاشتراكية على الأراضي الألمانية. الرجل البالغ من العمر 89 عاما هو ضيف مرحب به كشاهد معاصر وصوت وسرد ذكريات والثقافة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية. حيث يوجد فهم أكبر واتفاق أكبر على موقفه بأن جمهورية ألمانيا الديمقراطية لم تكن في الأساس دولة ظالمة تحصن مواطنيها وتجسس عليهم وتعاقبهم. وحيثما كان هناك مجال لإعطاء حيز أكبر لصورته الذاتية، التي يدافع عنها حتى اليوم .

يمنح كرينز مساحة واسعة لعرض وجهة نظره حول جمهورية ألمانيا الديمقراطية، والاشتراكية، والاضطرابات السياسية التي سبقت سقوط جدار برلين في عام 1989. يتناقش في مواضيع مثل الوفيات عند الجدار، والقمع السياسي. لكن غالبا ما تظل مبرراته غير معلقة إلى حـــد كبير . سرد الاحداث

علي المسعود

ومسار حياة الشيوعي الاخير في جمهورية المانيا الديمقراطية ، رويت بهدوء، واعتبرت جديرة بالنقاش ، كما يبقى الفيلم وفيا لنهجه المتحفظ. تم تصميم مونتاج الصور الأرشيفية والتسجيلات الحالية بعناية وإيقاعا ثابتا. تكتسب الصور التاريخية بشكل خاص تأثيرا مثيرا للاهتمام بالاقتران مع ذكريات كرينز، لأنها تثير باستمرار سؤالا حول كيفية تذكر التاريخ وروايته وما مدى مصداقيته . ومع ذلك، غالبا ما يتجنب بينرت اللعب المستمر على هذا الاحتكاك. بدلا من السماح للتباين بين الذاكرة الشخصية والتقييم التاريخي بأن تصطدم بشكل أقوى، غالبا ما يبقى (الشيوعي) على مستوى الصورة الرصدية. هذا يخلق فهما للشخصية دون أن تطرح دائما التساؤلات في مواقفها بشكل كاف .

الفيلم الوثائقي "الكومونيست" للوتز بينرت لا يريد تقديم إعادة تقييم تاريخي . بل تصوير رجل ينتمي إلى الدائرة الداخلية لسلطة الدولة في ألمانيا الشرقية ويعيش الآن كمتقاعد على بحر البلطيق. لكن هذا الطرح يترك لك شعورا بأن المخرج أعطى المحارب كرينز حريته في الحديث دون مصادرة للرأي . يبدأ الفيلم بتسجيلات صوتية من مقر حزب الوحدة الاشتراكية الاشتراكية في برلين ، حيث ناقشت لجنة مستقبل حزب الوحدة الاشتراكية واحتمال تورط أعضائه البارزين في فشل "دولة العمال والفلاحين" في أوائل عام 1990. "شيء واحد واضح، الجميع تحمل المسؤولية. وكل شخص يحمل عبئا،" يعترف " إيجون كرينز " يحمل أيضا عبئا . "لم يكن لدي القدرة على منع الإصابات والوفيات على هذه الحدود"، يقول إيجون كرينز في حكاية "الكومونيست".

---

* كاتب عراقي

تتمة ص التالية

تظهرصور للموكب السياسي، الأعلام الحمراء، الأحداث الرياضية الكبرى، شباب ألمانيا الشرقية. القطع: يدخل إيجون كرينز إلى مسرح الفيلم، ويبدأ صوت امرأة في سرد الأحداث الرئيسية لسيرته الذاتية . تحكي قصة صبي يقرأ البيان الشيوعي في سن الرابعة عشرة ويريد أن يقبل في الحزب الاشتراكي في سن السادسة عشرة. ويناضل في صنع مسيرة سياسية خطوة بخطوة ، حتى أصبح عضوا في المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي عام 1983، والرجل الثاني بعد" إريك هونيكر " ، أصغر فرد في أعلى دائرة سلطة، المراهق بين "الرجال المدللين "، كما وصفهم وولف بيرمان : "موظفون بدوام كامل بسيارات رسمية، منازل في واندليتز، والكثير من الامتيازات " . المخرج "لوتز بينيرت"، المولود عام 1961، تناول مرارا التاريخ والحياة الثقافية والشخصيات المؤثرة في ألمانيا الشرقية في أعماله السينمائية ، خصوصا المخرج نفسه هو ابن مسؤول سابق في الحزب، نائب وزير الثقافة في ألمانيا الشرقية هورست بيهنرت. وقد يكون هذا منحه فهما للتناقضات المعرفية والصراعات الداخلية التي قد يشعر بها شخص يؤمن بالاشتراكية وفي نفس الوقت يرى ما تفعله فعليا أو نظريا. لكن، المفاجأة: الأصالة أو القرب أو الصدق في سرد حياة "إيجون كرينز ".

" أعتقد أن أفضل تصور للديمقراطية في دولة العمال والفلاحين أن يأخذ الجميع مسؤوليته على محمل الجد، وقبل كل شيء، يعترف بمسؤوليته " ، هذا ما قاله كرينز ذات مرة في خطاب أمام مسؤولي الحزب الاشتراكي الديمقراطي و الشباب الألماني الحر ،وعندما ينظر إلى حياته، يقول في الفيلم: "لم يؤثر علي شيء في حياتي السياسية أكثر من طردي من الحزب. كان من المفترض أن أسلم بطاقة حزبي. قلت: 'لن أتخلى عن ذلك" . كان لدى المخرج "لوتز بينرت " أسباب شخصية جدا لصنع فيلم عن كرينز: "بالطبع، حاول مخرجون آخرون صنع فيلم مع إيجون كرينز. ولكن كان لاسمي ومركز والدي دور في أخذ زمام المبادرة ، كان والدي وإيغون كرينز أصدقاء في زمن الشباب الألماني الحر " . لمدة عام ونصف تقريبا، التقى بينرت وكرينز وتبادلا الحديث بانتظام. من بين أماكن أخرى، في منتجع ديرهاغن على بحر البلطيق، حيث عاش السياسي السابق لسنوات. هذه التسجيلات للمحادثات هي أساس هذا الفيلم. فيها، يصف كرينز حياته علنا، ويذكر كيف وجد منزلا جديدا في دامغارتن بعد الحرب واضطر للمساهمة مبكرا لكسب المال لوالدته ولنفسه . روى كرينز لصانع الأفلام الوثائقية لوتز بيهنرت جزءا كبيرا من حياته في منزله الصغير في ديرهاجن على بحر البلطيق. لكن المخرج لا يقرأ النص بصيغة المتكلم الذي خرج منه كرينز نفسه، بل يقرأه متحدث بصوت هادئ ومتحفظ. هذا أحد تأثيرات الاغتراب التي تسمح للفيلم بالاقتراب من الشخص المصور "خلف الزاوية"، إذا جاز التعبير. بالطبع، الكثير من المواد الأرشيفية من ظهورات كرينز العامة مقطوعة أيضا، لكن الصوت الأنثوي خارج الشاشة يجذب مستوى ثان، يبدو أكثر خصوصية ويبني جسرا للقاء مع المشاهد ، من الواضح أن الفيلم ليس مدفوعا بالرغبة في إصدار الأحكام. بل عن مواجهة تعقيدات الحياة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، التي عاشها المخرج، ابن مسؤول الحزب الاشتراكي ونائب وزير الثقافة "هورست بينيرت" بنفسه . بفضل تصميمه المعقد، يرسم (الشيوعي) صورة للدولة الاشتراكية الحقيقية للأمة الألمانية ،أحيانا يبتعد الفيلم كثيرا عن كرينز. يتتبع مسيرة أصغر رئيس للنقابة، ليو سولفيغ، أو مسيرة القس المحبي للسلام "فيرنر كراتشل".

"إيجون كرينز ": الانغماس في الحنين إلى ألمانيا الشرقية

طريق ريفي بالقرب من بحر البلطيق. خلال الموسيقى التصويرية يتأمل السائق، وهو هولندي يتحدث الألمانية الصورة الساحرة للطبيعة ، شرع المخرج في سرد تجربة "ولي العهد" لهونكر و كيف يفكر ويتحدث عن دوره اليوم. لكنه يريد أن يعرف كيف يروي الرجل البالغ من العمر 89 عاما الأمور في محادثة شخصية. وهذا أيضا هو موقف الشيوعيين: الرغبة في سماع الشخص المعني ، وكيف أصبح شخصا وصل إلى قمة الدولة. وأيضا كيف يعالج قصة فشله . هناك مواقف أخرى شكلت كرينز الشاب. ذكريات مهمة للمخرج بينيرت الذي تحدث قائلاً :

"الأمر لا يتعلق فقط بالنظر إلى كيف كان شخص ما عندما كان في السلطة. ولكن أيضا للنظر إلى السيرة الذاتية، والمسار الوظيفي حتى القمة. كانت لدى المخرج أفكار دقيقة لفيلمه الوثائقي: "لم أرد فقط تصوير المؤرخين أو السياسيين الذين يسمح لهم بإبداء آرائهم حول إيجون كرينز. كنت أريد أن أجد أبطالا لديهم أيضا تجربة شخصية معه". لا يزال الجميع يعرف اسم إيغون كرينز، الذي انتخب خلفا لإريك هونكر في 18 أكتوبر 1989، في ذروة الاحتجاجات السلمية ضد النظام، حكم لمدة 50 يوما، واضطر للاستقالة في 3 ديسمبر، ثم طرد من حزبه الاشتراكي الاشتراكي، ولاحقا، في ألمانيا الموحدة، حكم عليه بالسجن لأكثر من ست سنوات بسبب مسؤوليته المشتركة عن الوفيات عند الجدار . وقد قضى فيها أقل من أربع سنوات. ولد عام 1937 في كولبرغ في ما يعرف الآن ببولندا، ونشأ بدون أب في ظروف بسيطة، وانضم ، المنظمة الشبابية للحزب الاشتراكي الاشتراكي الديمقراطي، حيث بنى مسيرته هناك وأخيرا وصل إلى المكتب السياسي، حيث أندمج مع مجموعة "الشباب الثوريين "مع الشيوعيين المخضرمين الذين تعرضوا للاضطهاد من قبل النازيين وأرادوا بناء دولة ألمانية اشتراكية بعد عام 1945. على عكس والده بالتبني إريك هونيكر. مع فيلم بينرت الوثائقي، يتعرف المشاهد شيئا جديدا عن" إيجون كرينز"، حتى وإن ظل مخلصا لمبادئه: "فبعد كل شيء، أظهرت الأربعون سنة أن الحياة بدون رأسماليين ممكنة أيضا. هناك حنين الى المانيا الديمقراطية الأشتركية الآن يمكنك أن تكره هذا وترفع الآخر. ومع ذلك، " أعتقد أن العالم لن يكون له مستقبل بدون الاشتراكية. لا يمكن لهذا العالم أن يبقى كما هو. قد يكون بالنسبة للكثيرين أنني ستاليني، لكني أقول - أنا شيوعي " .

إضاءات فنية

أريان منوشكين..Ariane Mnouchkine
جماليات الإخراج وصناعة الممثل في المسرح المعاصر.

حين يُستعاد تاريخ المسرح العالمي الحديث، فإن أسماء قليلة استطاعت أن تتجاوز حدود التجربة المحلية لتغدو مشاريع فكرية وجمالية غيّرت مفهوم المسرح ذاته، وتأتي المخرجة الفرنسية أريان منوشكين **Ariane Mnouchkine** في طليعة هذه الأسماء، ليس لأنها قدّمت عروضًا مسرحية نالت إعجاب الجمهور والنقاد في فرنسا والعالم، وإنما لأنها استطاعت أن تؤسس، عبر مسرح الشمس (Théâtre du Soleil) الذي أنشأته سنة 1964، رؤية إخراجية متكاملة أعادت تعريف وظيفة المسرح، وطبيعة الإخراج، ومكانة الممثل، وآليات إنتاج العرض المسرحي. لقد تحوّل مسرح الشمس، بفضل مشروعها، من فرقة مسرحية إلى مختبر دائم للبحث والابتكار، وأصبح أحد أهم المراجع التي يعود إليها الباحثون والدارسون لفهم التحولات الكبرى التي شهدها المسرح المعاصر في النصف الثاني من القرن العشرين.

ولعل ما يميز تجربة منوشكين أنها لم تتعامل مع الإخراج بوصفه عملية تنظيمية لعناصر العرض أو قراءة تطبيقية للنص، بل بوصفه فعلًا إبداعيًا مستقلاً، ينطلق من البحث قبل التنفيذ، ومن الاكتشاف قبل الحسم، ومن الحوار المستمر بين المخرج والممثل والفضاء المسرحي. ولهذا لم تكن عروضها تُبنى وفق تصورات جاهزة أو حلول إخراجية مسبقة، وإنما كانت تولد تدريجيًا داخل مختبر العمل، حيث يتحول النص إلى مادة أولية قابلة لإعادة التشكيل، ويصبح الممثل شريكًا في صناعة الرؤية، لا منفذًا لتعليمات المخرج. ومن هنا اكتسبت عروضها تلك الحيوية النادرة التي تجعلها تبدو كأنها تُخلق أمام الجمهور للمرة الأولى، مهما تعددت عروضها أو تكررت مشاهدها.

ومن هذا المنطلق، احتل الممثل موقع القلب في مشروعها المسرحي، لأن منوشكين تؤمن بأن المسرح لا يصنعه النص وحده، ولا الديكور أو الإضاءة أو الموسيقى، وإنما يصنعه الممثل القادر على أن يحول جسده إلى لغة، وصوته إلى إيقاع، وحركته إلى نظام دلالي متكامل. ولهذا كرّست جانبًا كبيرًا من مشروعها لتأسيس منهج تدريبي بالغ الصرامة، يجمع بين الإعداد البدني والذهني والنفسي والفكري، بحيث لا يدخل الممثل إلى الشخصية عبر الكلمات وحدها، وإنما عبر الجسد أولًا، لأن الجسد في تصورها يفكر قبل أن ينطق، ويكشف عن المعنى قبل أن تفصح عنه اللغة.

ولم يكن هذا التدريب مجرد تمارين حركية أو لياقة جسدية، بل عملية تكوين شاملة تستلهم فنون الشرق والغرب معًا فمن الكاثاكالي الهندي استمدت دقة التعبير الجسدي، ومن الكابوكي الياباني استلهمت الانضباط الحركي، ومن المسرح اليوناني القديم أخذت الطقس الجماعي، ومن الكوميديا ديللارتي الإيطالية استعارت طاقة القناع، ثم أعادت صهر هذه المرجعيات جميعًا داخل رؤيتها الخاصة، لتنتج لغة مسرحية يصعب تصنيفها ضمن مدرسة واحدة، لأنها في حقيقتها مدرسة قائمة بذاتها.

وهذا ما يفسر أن الجسد في عروضها لا يؤدي وظيفة مرافقة للكلمة، بل يصبح نصًا مستقلاً يوازي النص المكتوب، فتتحول الحركة إلى خطاب، والصمت إلى معنى، والإيقاع إلى بناء درامي كامل، حتى يبدو العرض أشبه بلوحة تشكيلية تتحرك في الزمن، تتآلف فيها الموسيقى مع الضوء، ويلتقي فيها الفضاء بالممثل ضمن بنية بصرية شديدة الدقة، بحيث لا يمكن فصل عنصر عن آخر دون أن يختل البناء الجمالي بأكمله.

ولأن منوشكين كانت ترى أن المسرح معرفة قبل أن يكون ترفيهًا، فقد اتجهت إلى معالجة الموضوعات التاريخية والإنسانية الكبرى، لكنها لم تقدم التاريخ بوصفه سردًا للأحداث، وإنما باعتباره وسيلة لفهم الإنسان. ففي عرضها الشهير 1789 لم تكن الثورة الفرنسية موضوعًا تاريخيًا فحسب، بل مختبرًا لتحليل العلاقة بين السلطة والشعب، وبين الحلم الثوري وتحولاته، بينما جاء عرض 1793 ليكشف الوجه الآخر للثورات حيـــن تتحول

هاشم شفيق

الحرية إلى سلطة جديدة، في قراءة نقدية عميقة تجاوزت التوثيق إلى التأمل الفلسفي.

ثم بلغت هذه الرؤية ذروتها في ملحمة Les Atrides، التي أعادت فيها تقديم تراجيديات إسخيلوس ويوربيديس ضمن رؤية إخراجية مزجت بين المسرح الإغريقي والطقوس الآسيوية، فخرج العرض من حدود إعادة تقديم النصوص الكلاسيكية إلى إعادة اكتشافها بصريًا وجسديًا، حتى عدّه كثير من النقاد أحد أعظم الإنجازات الإخراجية في المسرح الأوروبي المعاصر.

أما عرض Le Dernier Caravansérail فقد كشف عن الوجه الإنساني العميق في مشروعها، إذ استند إلى شهادات حقيقية للاجئين من مختلف أنحاء العالم، محولًا الوثيقة الواقعية إلى قصيدة مسرحية تمزج الألم بالأمل، وتعيد إلى المسرح وظيفته الأخلاقية بوصفه فضاءً للدفاع عن الإنسان. وفي Les Naufragés du Fol Espoir بلغت قدرتها على المزج بين المسرح والسينما والسرد الملحمي مستوى استثنائيًا، مؤكدة أن الإبداع الحقيقي لا يعرف الحدود الفاصلة بين الفنون.

ومن يتأمل هذه الأعمال يدرك أن سر تميز منوشكين لا يكمن في براعة استخدام التقنيات أو ضخامة الإنتاج، وإنما في قدرتها على خلق عالم مسرحي متكامل، تتحد فيه الفكرة بالصورة، ويتكامل فيه الفكر مع الحس الجمالي، ويصبح فيه كل عنصر من عناصر العرض جزءًا من بنية عضوية واحدة. ولهذا اكتسبت أعمالها تلك الخصوصية التي تجعل المشاهد يتعرف إليها منذ اللحظات الأولى، حتى قبل أن يعرف اسم المخرج.

تتمة ص التالية

ولم يكن من قبيل المصادفة أن تتحول تجربة مسرح الشمس إلى واحدة من أكثر التجارب تأثيرًا في المسرح العالمي، وأن تصبح منهجًا يُدرّس في الجامعات والمعاهد المتخصصة، لأنها أعادت الاعتبار إلى قيمة العمل الجماعي، وأثبتت أن المسرح لا يُبنى على سلطة المخرج بقدر ما يُبنى على الثقة المتبادلة بين جميع عناصر الفريق. وقد انعكس ذلك في طبيعة الفرقة نفسها، حيث يشارك الجميع في مختلف تفاصيل العمل، من بناء الديكور وصناعة الملابس إلى استقبال الجمهور، في تجربة إنسانية نادرة جعلت من المسرح أسلوبًا للحياة، لا مجرد مهنة أو وسيلة للإنتاج الفني.

ومن هنا يمكن القول إن أريان منوشكين لم تؤسس مدرسة إخراجية جديدة فحسب، بل أعادت صياغة مفهوم الإخراج نفسه، حين جعلته فعلًا معرفيًا وجماليًا وأخلاقيًا في آن واحد. لقد أثبتت أن المخرج الحقيقي ليس من يفرض رؤيته على الممثلين، بل من يوقظ فيهم طاقات الخلق، وأن العرض المسرحي العظيم لا يولد من وفرة التقنيات، وإنما من عمق الرؤية، وصدق البحث، والانضباط الفني، والإيمان المطلق بأن المسرح لا يزال قادرًا على مساءلة الإنسان واكتشافه من جديد. ولهذا ستظل تجربتها واحدة من أكثر التجارب ثراءً في تاريخ المسرح العالمي، وستبقى أعمالها، بما تحمله من ابتكار وجمال وجرأة فكرية، مرجعًا لا غنى عنه لكل دارس للإخراج الحديث، ولكل باحث يسعى إلى فهم الكيفية التي استطاع بها المسرح أن يتحول، على يد أريان منوشكين، من فن للتمثيل إلى فن للخلق والإدهاش والمعرفة.

ومن يمعن النظر في تجربة أريان منوشكين يكتشف أن مشروعها لم يقم على الموهبة وحدها، بل على وعي نظري عميق بوظيفة المسرح في المجتمع. فهي تؤكد في أكثر من حوار أن المسرح ليس مكانًا للإجابة عن الأسئلة، وإنما فضاء لطرحها، وأن العرض المسرحي لا يكتمل إلا إذا غادر المتفرج القاعة وهو يحمل قلقًا معرفيًا وأسئلة جديدة عن الإنسان والعالم. ومن هنا كانت ترى أن وظيفة المخرج لا تتمثل في فرض المعنى على الجمهور، بل في بناء شروط اكتشافه، بحيث يصبح المتلقي شريكًا في إنتاج الدلالة، لا مستهلكًا لها.

وقد لخّصت هذه الرؤية بقولها إن المسرح لا يغيّر العالم مباشرة، لكنه يغيّر الإنسان، والإنسان هو الذي يستطيع أن يغيّر العالم. وهذه العبارة تمثل جوهر مشروعها الفني، لأنها تنقل المسرح من دائرة الترفيه إلى دائرة المسؤولية الثقافية والأخلاقية.

ولعل هذه الفلسفة هي التي دفعت الناقد المسرحي الكبير جورج بانو (Georges Banu) إلى وصف مسرح الشمس بأنه «مختبر دائم للخيال الإنساني»، لأن منوشكين لا تتوقف عند إنتاج العروض، بل تنتج في كل عمل لغة مسرحية جديدة، وتدفع الممثل والجمهور معًا إلى إعادة اكتشاف إمكانات المسرح بوصفه فنًا للحرية والبحث المستمر.

كما ترى الباحثة الألمانية إريكا فيشر-ليشته (Erika Fischer-Lichte) أن أهمية تجربة منوشكين تكمن في قدرتها على تحويل العرض المسرحي إلى حدث تحولي (Transformative Event)، إذ لا يبقى الممثل والجمهور بعد انتهاء العرض كما كانا قبله؛ فالعلاقة بين الطرفين تتحول إلى عملية تبادل للطاقة والانفعال والمعنى، وهو ما يجعل العرض تجربة وجودية أكثر منه مجرد تمثيل للنص.

أريان منوشكين: الخان الأخير- مسرح متروبول ميونخ / العرض الأول: ٢ يونيو ٢٠١٦ إخراج: يوشين شولتش

أما الباحثة الفرنسية جوزيت فرال (Josette Féral) فتذهب إلى أن منوشكين استطاعت أن تؤسس نموذجًا إخراجيًا جديدًا يقوم على ما تسميه «دراماتورجيا الجسد»، حيث يصبح الأداء الحركي نظامًا دلاليًا قائمًا بذاته، لا يقل أهمية عن الحوار، بل يتجاوزه أحيانًا في إنتاج المعنى. ولذلك تبدو عروضها وكأنها تكتب بالجسد بقدر ما تكتب بالكلمات، وتُبنى بالصورة بقدر ما تُبنى بالنص.

ويتجلى ذلك بوضوح في عرض Les Atrides، الذي يُعد من أهم منجزات المسرح العالمي في القرن العشرين. فقد استعانت فيه منوشكين بمبادئ الأداء في الكاثاكالي الهندي، ولا سيما في بناء الإيقاع الجسدي، واستثمرت الأقنعة والماكياج والإنشاد والإيقاعات الطقسية لتعيد صياغة التراجيديا الإغريقية في رؤية معاصرة، دون أن تفقدها بعدها الفلسفي أو قوتها الشعرية. ولم يكن هدفها استنساخ المسرح الشرقي، بل الإفادة من لغاته التعبيرية لإعادة اكتشاف الطاقة الكامنة في النصوص الكلاسيكية.

وفي Le Dernier Caravansérail بلغت تجربتها ذروة نضجها الإنساني، حين جمعت شهادات لاجئين من بلدان متعددة، وحولتها إلى بناء ملحمي تتجاور فيه الوثيقة مع الشعر، والواقع مع الخيال، والخصوصية الفردية مع المأساة الإنسانية العامة. وقد عدّ كثير من النقاد هذا العرض واحدًا من أهم العروض السياسية والإنسانية في المسرح العالمي المعاصر، لأنه أعاد الاعتبار إلى الإنسان بوصفه القيمة العليا التي ينبغي أن يدافع عنها الفن.

ومن اللافت أن منوشكين، على الرغم من شهرتها العالمية، لم تنزلق يومًا إلى استعراض التقنية من أجل التقنية، بل ظلت وفية لفكرة أن كل عنصر جمالي ينبغي أن يكون في خدمة الإنسان والمعنى. ولهذا لم تتحول السينوغرافيا في عروضها إلى زينة بصرية، بل كانت امتدادًا للفعل الدرامي، ولم تكن الموسيقى مصاحبة للحدث، بل شريكًا في بنائه، ولم تكن الإضاءة عنصرًا تزيينيًا، بل لغة تكتب بها الزمن المسرحي، في تكامل عضوي يجعل العرض وحدة جمالية متماسكة.

إن القيمة الحقيقية لتجربة أريان منوشكين لا تكمن في أنها أنجزت عروضًا مسرحية كبرى، وإنما في أنها أسست فلسفة للإخراج، ومنهجًا لتكوين الممثل، ورؤيةً للمسرح بوصفه ممارسة معرفية وأخلاقية وجمالية في آن واحد. ولهذا لم تعد تجربتها موضوعًا للدراسة التاريخية فحسب، بل أصبحت مرجعًا حيًا لكل من يسعى إلى فهم طبيعة الإبداع المسرحي المعاصر، وكيف يمكن للمخرج أن يكون مفكرًا وفنانًا وباحثًا في الوقت نفسه.

الكاريكاتير البغدادي
مختارات هذا العدد - 15 آب 2026

مستقبل العراق

الديموقراطية على الطريقة الأميركية

مَنصُور اَلبكْرِي الإنْسان.. رحل بِهدوء إلى السَّلَام الأبَديّ ، لَكِن إبْداعه الفنِّيَّ سيخلِّده

منصور البكري

ولد في 19 يناير 1956 ـ رحل يوم الخميس 4 نوفمبر ـ تشرين الثاني 2021

"صوت الصعاليك" تنشر رسوم الكاريكاتير للفنان الراحل ((منصور البكري)) التي قام بوضعها في ملف خاص للنشر في الصفحة الفنية التي كان يشرف على تحريرها في "صوت الصعاليك" منذ إصدار عددها الأول في 1 يناير 2021... ننشر ما لدينا من رسوم لشخصيات عراقية وعربية وعالمية.